أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحُوِّلت إلى **مجلّة بيبليا** سنة ١٩٩٩

في هذا العدد

الافتتاحيّة

الأناجيل المنحولة، هل تحتوي على حقائق مخبوءة حول يسوع؟ ..... **رئيس التحرير** **٢**

الكتابات المنحولة ونظرة الكنيسة إليها ..... **المونسنيور بولس الفغالي** **٧**

إنجيل المصريّين ..... **الأب كميل وليم سمعان** **١٥**

إنجيل الإيبونيّين أو إنجيل الرسل الإثني عشر ..... **الأب أيوب شهوان** **٢١**

طفوليّات يسوع ..... **المونسنيور بولس الفغالي** **٣٧**

إنجيل جمليئيل ..... **الأب أيوب شهوان** **٤٥**

الأناجيل المنحولة والإيقونوغرافيا،

حوار بين النصّ والصورة، تباين وتماهي ..... **د. بول زغيب** **٥٧**

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوراسقف بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش
الأخت روز أبي عاد

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
المطران نقولا أنتيبا
الأب سمير بشاره
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنص حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الخوري وسام حدّاد
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمة الله الخوري
الأب لويس الخوند
القسّ عيسى دياب
الأب أندره رزق الله
الأخت دولي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري ميشال صقر
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
المونسنيور يوسف فخري
الأخت ياره متّى
الأب هادي محفوظ
الخوراسقف أنطوان مخائيل
المطران بطرس مرياتي
الأب بيار نجم
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠

العنوان
كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠
البريد الإلكترونيّ: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb
mimigerges@usek.edu.lb

ثمن العدد
في لبنان: ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنويّ (٤ أعداد)
في لبنان: ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

طباعة
Daccache Printing House s.a.r.l
عمشيت – لبنان

رمز الغلاف: م. بْرُوفيرا، الصلب والصلبان الثلاثة، إنجيل الطفولة العربيّ بحسب المخطوط اللُورِنْسيانيّ الشرقيّ، الرقم ٣٨٧، إيطاليا.

الافتتاحيّة

الأناجيل المنحولة
هل تحتوي على حقائق مخبوءة حول يسوع؟

رئيس التحرير

مقدّمة

اجتذبت الأناجيل المنحولة[1] الكثير من الاهتمام في العقود الأخيرة. ويعتقد البعض أنّ هذه النصوص تكشف الحلقات الحاسمة من حياة يسوع وتعاليمه، التي ظلّت غامضة أو خفيّة لفترة طويلة. ولكن ما هي الأناجيل المنحولة فعلاً؟ هل تكشف حقًّا الحقائق المتعلّقة بيسوع وبالمسيحيّة، والتي لا تظهر في كتب العهد الجديد؟

قد يعتقد البعض أنّ الأناجيل المنحولة اكتشاف كبير من شأنه أن يزعج الكثيرين بالتأكيد، وقد يغيّر تاريخ بدايات المسيحيّة، لكنّ واقع الأمور هو غير ذلك بالتأكيد! هذا ما سنوضحه بالإيجاز في ما يلي.

١ – الأناجيل القانونية والأناجيل المنحولة

بين السنتين ٤١ و٩٨ م، وضع متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا كتابةً "تاريخَ يسوعَ المسيح":

"نَسَبُ يسوعَ المسيح ابنِ داودَ ابنِ إبراهيم" (مت ١: ١).

هذه القصص حول "الأنباء السارّة" عن يسوع المسيح غالبًا ما تُسمَّى الأناجيل:

"بَدءُ بشارَةِ يسوعَ المسيحِ ابنِ الله" (مر ١: ١).

يمكن أن يكون قد تمّ تعميم تقاليد شفوية وكتابات أخرى عن يسوع. ومع ذلك، تُعتَبَر هذه الأناجيل الأربعة وحدها دون سائر الأناجيل ملهَمَة من الله، وبالتالي، جزءًا من قانون الكتاب المقدّس. وبعبارة أخرى، يمكنها أن تكشف بعض المعطيات والأمور عن حياة يسوع على الأرض وعن تعاليمه؛ هذا ما يتوضّح من خلال الاستشهادات التالية:

(١) الكلمة "منحول" هي نقْلٌ عن الكلمة اليونانية "أبُوكْرِيفَا" التي تعني "الشيء المخفيّ، ما هو مخبّأ"؛ تشير أصلاً إلى الكتب التي كانت موضوعة خصّيصًا لأعضاء مدرسة من الفِكر معيَّنة، ومحرَّمَة على العامّة من الناس. مع مرور الزمن، وفي نهاية المطاف، انتهى الأمر بهذه التسمية بأن صارت محصورةً بالكتب التي لم تُدرَج في قانون الكتاب المقدّس.

– "لَمَّا أَنْ أَخذَ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يُدَوِّنونَ رواية الأُمورِ الَّتي تَمَّت عندنَا، كما نَقَلَها إلينا الَّذينَ كانوا منذُ البدءِ شهودَ عيانٍ للكلمة، ثُمَّ صاروا عاملينَ لها، رأَيتُ أنا أَيضًا، وقَد تقَصَّيتُها جميعًا مِن أُصولِها، أَن أَكتُبَها لَكَ مُرَتَّبَةً، يا تاوفيلُسُ المُكرَّم، لتَتَيَقَّنَ صحَّةَ ما تَلَقَّيتَ مِن تعليم" (لو ١: ١–٤)؛

– "أَلَّفْتُ كتابيَ الأَوَّل، يا تاوُفيلُس، في جميعِ ما عَمِلَ يسوعُ وعلَّم، منذُ بدءِ رسالتِه، إلى اليومِ الَّذي رُفِعَ فيه إِلى السَّماء، بَعدَما أَلقى وصاياهُ، بدافعٍ مِنَ الرُّوحِ القُدُس، إِلى الرُّسُلِ الَّذينَ اختارَهُم" (أع ١: ١، ٢)؛

– "فكُلُّ ما كُتِبَ هو مِن وَحيِ الله، يُفيدُ في التَّعليم والتَّفنيدِ والتَّقويمِ والتَّأديبِ في البِرّ، لِيَكونَ رَجُلُ اللهِ كاملاً مُعَدًّا لكُلِّ عَمَلٍ صالح" (٢ تيم ٣: ١٦، ١٧).

هناك أكثر من قائمة قديمة يونانيّة مسيحيّة للكتاب المقدّس تتضمّن كلّها الأناجيل الأربعة. لذلك ليس هناك من سبب للشكّ في قانونيّتها، ممّا يعني، عمليًّا، أنّها تنتمي إلى مجموعة كتب كلمة الله الملهَمَة.

مع مرور السنين ظهرت نصوص أخرى سُمِّيَت هي أيضًا "أناجيل". إنّها الأناجيل المعروفة اليوم باسم "الأناجيل المنحولة".

وفي أواخر القرن الثاني، كتب إيريناوس، أسقف ليون (فرنسا)، أنّ المرتدّين عن المسيحيّة كانت "لديهم مجموعة لا عدَّ لها من الكتابات المنحولة والوغدة [أو غير الشرعيّة]، وضعوها هم للتأثير على الحمقى". لقد أعلن بذلك أنّها مؤلّفات خطرة ليس فقط من حيث قراءتها، بل أيضًا من حيث امتلاكها.

ومع ذلك، حافظ العديد من الرهبان والنسّاخ في العصور الوسطى على هذه النصوص. وفي القرن التاسع عشر استيقظ، وبوضوح كبير، الاهتمامُ بالكتابات المنحولة. ونتيجة لذلك، أبصر النورَ عددٌ غير قليل من مصنّفات هذه الكتابات وطبعاتها النقديّة، بما في ذلك العديد من الأناجيل المنحولة. هناك حاليًّا ترجمات لهذه الكتب في العديد من اللغات الرئيسيّة.

٢ – في الأناجيل المنحولة قَصَصٌ غيرُ قابلٍ للتصديق

يركّز بعض الأناجيل المنحولة في الغالب على شخصيّات يجري الكلام عليها قليلاً في الأناجيل القانونيّة أو حتّى لا ذكر لها. وهناك أناجيل أخرى تخبر عن طفولة يسوع بشيء من التلفيق. وفي ما يلي بعض الأمثلة:

- **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، ويُسَمَّى أيضا إنجيل **مولد مريم**، يخبر عن مولد مريم وطفولتها، وعن زواجها لاحقًا من القدّيس يوسف. يصفه الكثيرون، وعن حقّ، بأنّه مؤلَّفٌ من نسج خيال دينيّ وحتّى بأنّه أسطورة. وُضِعَ بهدف تعظيم مريم والدفاع عن الفكرة القائلة بأنّها بقيت عذراء أبدًا:

– "فلمَّا قامَ يُوسُفُ مِنَ النَّوم، فَعلَ كما أَمرَه ملاكُ الرَّبِّ، فأَتى بامرَأَتِه إِلى بيتِه،

على أَنَّه لم يَعرِفْها حتَّى ولَدَتِ ابنًا، فسمَّاه يسوع" (مت ١: ٢٤–٢٥)؛

– "أَلَيسَ هذا ابنَ النَّجَّار؟ أَلَيسَت أُمُّه تُدعى مريم، وإِخوتُه يعقُوبَ ويُوسُفَ وسمعانَ ويهوذا ؟

أَوَلَيسَ جميعُ أَخواتِه عندَنا؟ فمِن أَينَ له كُلُّ هذا؟" (مت ١٣: ٥٥–٥٦).

- **إنجيل الطفولة لتوما الزائف** سجّلَ أحداثًا جرت عندما كان يسوع في عمرٍ يمتدّ من سنّ الخامسة وحتّى الثانية عشرة، وينسب إليه سلسلة من المعجزات التي يصعب نوعًا ما تصديقها؛ قارن ذلك مع يو ٢: ١١:

"هذه أُولى آياتِ يسوع أَتى بها في قانا الجليل، فأَظهَرَ مجدَه، فآمَنَ به تلاميذُه".

يقدّم هذا الإنجيلُ يسوعَ وكأنّه شخصٌ متقلّب المزاج وسريع الغضب، صبيّ يستخدم قدراته لينتقم من المعلّمين، والجيران، وحتّى من أطفال آخَرين، ومن أعمى في بعض الأحيان، يَدَعُهم في حالة شلل أو يوصلهم حتّى إلى الموت.

• بعض الكتب المنحولة، مثل **إنجيل بطرس**، يركّز على محاكمة يسوع وتنفيذ الحكم فيه وقيامته. كتب أخرى، مثل **أعمال بيلاطس**، وهو قسم ممّا يعرف باسم **إنجيل نيقوديموس**، تدور حول شخصيّات لها علاقة بهذه الأحداث. لكن، بما أنّها تستنبط وقائع وشخصيّات، فإنّها بالفعل ذاته تفقد كلّ مصداقيّة. يحاول إنجيل بطرس أن يحرّر بيلاطس البنطيّ من أيّة مسؤولية، ويصف قيامة يسوع بطريقةٍ أقلُّ ما يُقالُ فيها بأنّها خياليّة جدًّا.

٣ – المنحولات وجحود الإيمان

في كانون الأوّل من سنة ١٩٤٥، وجد بعض المزارعين، عن طريق الصدفة، بالقرب من بلدة نجع حمادي (صعيد مصر)، ثلاثة عشر مخطوطًا من ورق البرديّ، أي ما مجموعه اثنان وخمسون نصًّا. يعزو الكثيرون هذه الوثائق، التي ترقى إلى القرن الرابع، إلى الغنوصيّين، الذين كانوا أعضاء في حركة فلسفيّة ودينيّة معروفة باسم "الغنوصيّة". لقد أفسدت هذه العناصر الغنوصيّة المختلطة من التصوّف، والوثنيّة، والفلسفة اليونانيّة، واليهوديّة، والمسيحيّة، العديدَ من الذين أعلنوا أنفسهم مسيحيّين؛ وقد يكون هذا أو ما شابه قد دفع بالقدّيس بولس إلى الكتابة إلى تلميذه تيموتاوس ما يلي:

"يا تيموتاوُس، إحفَظِ الوديعَة، واجتَنِبِ الكلامَ الفارغَ الدُّنيَويّ ونقائِضَ المعرِفَةِ الكاذِبة، وقد أَعلَنَها بعضُهم فحادوا عنِ الإيمان. علَيكُمُ النِّعمَة" (رج ١ تيم ٦: ٢٠، ٢١).

وُضِعَ العديد من الأفكار الغنوصيّة على فم يسوع في بعض نصوص نجع حمادي، كما هو الحال في **إنجيل توما**، و**إنجيل فيليبّس**، و**إنجيل الحقيقة**. ويُدرَجُ بين الأناجيل الغنوصيّة **إنجيل يهوذا** الذي اكتُشِفَ مؤخَّرًا، والذي يعزّز نظرة أكثر إيجابيّة إلى يهوذا الإسخريوطيّ، إلى حدّ تقديمه على أنّه الرسول الوحيد الذي فهم حقًّا دور يسوع. ووفقًا لرأي أحد الباحثين في هذا المجال، يصف النصُّ يسوعَ بأنّه "معلِّمٌ وكاشفٌ للحكمة وللمعرفة، ولكنّه ليس مخلِّصًا يموت عن خطايا العالم". الأناجيل المُلْهَمَة، على العكس من ذلك، تؤكّد أنّ يسوع ضحّى بحياته من أجل خطايا البشر:

– "هكذا ابنُ الإنسانِ لم يأتِ ليُخدَم، بل ليَخدُمَ، ويَفدِيَ بنَفْسِه جماعةَ النَّاس" (مت ٢٠: ٢٨)؛

– "فهذا هُو دمي، دمُ العهد يُراقُ مِن أَجْلِ جماعةِ النَّاس لغُفرانِ الخطايا" (٢٦: ٢٨)؛

– "يا بَنِيَّ، أَكتُبُ إليكم بهذا لئلاَّ تخطَأُوا، وإن خَطِئ أَحدٌ فهُناك شفيعٌ لنا عندَ الآب، هو يسوعُ المسيحُ البارّ. إنَّه كَفَّارةٌ لخطايانا، لا لخطايانا وحدَها، بل لخطايا العالَمِ أَجمع" (١ يو ٢: ١، ٢).

بالتالي، فمن الواضح، أنّ القصد من الأناجيل الغنوصيّة ليس زيادة إيماننا بالكتاب المقدّس، بل إضعافه، كما يقول القدّيس بولس في سفر أعمال الرسل:

"ويَقومُ مِن بينِكم أَنفُسِكم أُناسٌ يَتَكلَّمونَ بالضَّلال ليَحمِلوا التَّلاميذَ على اتِّباعِهم" (أع ٢٠: ٣٠).

٤ – تفوّق الأناجيل القانونيّة على المنحولة

إذا تمّ تحليل الأناجيل المنحولة بعناية، وإذا ما قورنت بالأناجيل القانونيّة، فسيتبيّن لنا بوضوح أنّ المنحولة لم تكن مستوحاة من الله؛ نقرأ في هذا السياق ما يوصي به القدّيس بولس تلميذه تيموتاوس:

"إمتَثِلِ الأَقوالَ السَّليمةَ الَّتي سَمِعتَها منِّي، إمتَثِلْها في الإيمانِ والمحبَّةِ الَّتي في المسيحِ يسوع.

إحفَظِ الوديعةَ الكريمةَ بالرُّوحِ القدُسِ الَّذي يُقيمُ

فينا" (٢ تيم ١: ١٣–١٤).

لم يعرف واضعو الأناجيل المنحولة يسوعَ ولا رسلَه، لذلك لا يمكنهم أن يكشفوا عن أيّة حقيقة خفيّة عنه أو عن المسيحيّة. على العكس من ذلك، مؤلّفاتهم هي حكايات غير دقيقة، مستَنبَطة وخياليّة، لا تساعد في معرفة يسوع، ولا في معرفة تعاليمه. لنقرأ أيضًا يعلّمه بولس في رسالته إلى تيموتاوس:

"والرُّوحُ يقولُ صريحًا: إنَّ بعضَهم يَرتَدُّونَ عنِ الايمانِ في الأَزمِنةِ الأَخيرة، ويَتْبَعونَ أَرواحًا مُضِلَّةً ومذاهبَ شيطانيَّة،

وقَد خَدَعَهم رِياءُ قَومٍ كذَّابينَ كُوِيَت ضمائِرُهم" (١ تيم ٤: ١، ٢).

على النقيض من ذلك، ينتمي متّى ويوحنّا إلى مجموعة الرسل الاثني عشر؛ أمّا مرقس فكان أحد المقرّبين من الرسول بطرس، ولوقا من الرسول بولس؛ لقد دوّن كلٌّ منهم إنجيله منقادًا لروح الله القدّوس ولإلهاماته، وفق ما يقول القدّيس بولس:

"فاثبُتْ أَنتَ على ما تَعَلَّمتَه وكنتَ منه على يقين؛ فأَنتَ تَعرِفُ عَمَّن أَخَذتَه،

وتَعلَمُ الكتبَ المقدَّسَةَ منذُ نعومةِ أَظفارِكَ، فهي قادرةٌ على أَن تَجعَلَكَ حكيمًا، فتَبلُغَ الخلاصَ بالإيمانِ الَّذي في المسيحِ يسوع.

فكُلُّ ما كُتِبَ هو من وحيِ الله، يُفيدُ في التَّعليمِ والتَّفنيدِ والتَّقويمِ والتَّأديبِ في البِرّ،

لِيكونَ رَجُلُ اللهِ كامِلاً مُعَدًّا لكُلِّ عَمَلٍ صالح" (٢ تيم ٣: ١٤–١٧).

خاتمة

مع اعترافنا بأهمّيّة الأدب المنحول عامّةً، والأناجيل المنحولة والغنوصيّة خاصّةً، كونها انعكاسًا لتيّارات ولأفكار ولتصوّرات كانت سائدة في مرحلة من تاريخ البدايات في الكنيسة، إلاّ أنّنا نعلم علم اليقين أنّ الأناجيل الأربعة القانونيّة هي التي تحتوي على كلّ ما هو ضروريّ للإيمان بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، كما كتب يوحنّا الرسول في آخِر إنجيله:

"وأتى يسوعُ أَمامَ التَّلاميذ بآياتٍ أُخرى كثيرة لم تُكتَبْ في هذا الكتاب،

وإِنَّما كُتِبَت هذه لتُؤمنوا بأَنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله، ولتكونَ لكم إِذا آمَنتُمُ الحياةُ بِاسمِه" (يو ٢٠: ٣٠–٣١).

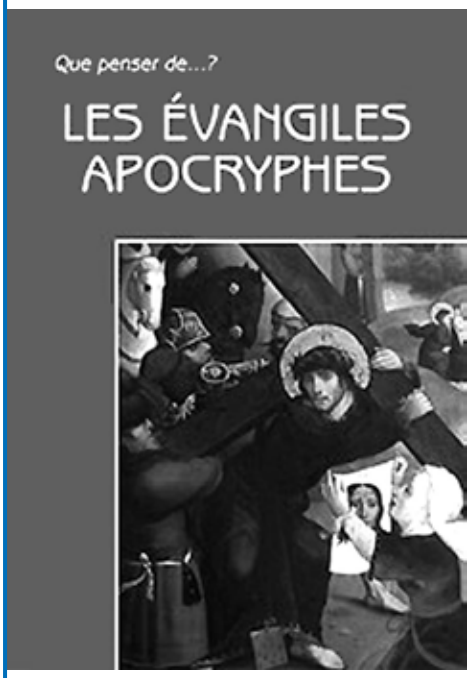

TABLE DES MATIERES

Introduction 3

I. Les évangiles para-synoptiques fragmentaires ou disparus 7
1. L'évangile selon les Hébreux 7
2. L'évangile des Ébionites 10
3. L'évangile des Égyptiens 11
4. Fragments de papyrus 12
5. L'évangile de Pierre 14

II. Les évangiles complémentaires 18
1. Le protévangile de Jacques 18
2. L'évangile du pseudo-Matthieu 23
3. L'évangile de Thomas, philosophe israélite 26
4. L'histoire de Joseph le charpentier 28
5. Le Transitus Mariae 29
6. L'évangile de Nicodème 32

III. Les évangiles gnostiques 35
1. L'évangile de Thomas 36
2. Autres "évangiles" gnostiques 40
a) L'évangile de vérité 40
b) L'apocryphe de Jean 41
c) L'évangile selon Philippe 42

Conclusion 43

Annexe : Tableau chronologique des évangiles apocryphes 45

الكتابات المنحولة ونظرة الكنيسة إليها

المونسنيور بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

"قرأتُ كتابًا عنوانه **رحلات الرسل**، وفيها نجد **أعمال بطرس، يوحنّا، أندراوس، توما، بولس**. وكما يدلُّ الكتاب، كَتب هذه **الرحلات** لوقيوس خارينس[1]. الأسلوب غير متساوٍ وغريب، فيستعمل مرارًا تعابيرَ وألفاظًا لا إهمال فيها، ولكنَّها، مرارًا، عامّيَّة ومستهلكة. كتاب لا يمتلك شيئًا من هذا الأسلوب الموحَّد والخالي من التصنُّع، شيئًا من هذه النعومة الأصيلة التي فيها خُطَّت اللغة الإنجيليَّة؛ فهو لا يقدِّم منها أيَّ أثر. هو مملوء بالبلادات والتعارضات والتناقضات؛ فهو يقول إنَّ إله اليهود الذي هو شرّير والذي كان سيمون[2] تلميذه، غير المسيح الذي يقول عنه إنَّه الصالح. ثمَّ مزج وخلط كلَّ شيء، فدعاه الآب ودعاه الابن. قال إنَّه لم يتجسَّد حقًّا، بل بدا أنَّه طفل، وأنَّه ظهر مرارًا في (أشكال) عديدة للتلاميذ: بشكل شابّ، شيخ، طفل. ثمَّ من جديد كشيخ ثمَّ طفل، كشخص كبير وشخص صغير، فائق الحدّ بحيث إنَّ رأسه يصل أحيانًا إلى السماء. وصاغ أيضًا عددًا من الأمور الخرقاء والعبثيَّة حول الصليب، فقال إنَّ المسيح لم يُصلَب، بل إنَّ آخر صُلب مكانه، وهو لهذا السبب يهزأ بالذين صلبوه. ورذل الزواجات الشرعيَّة، وأعلن أنَّ كلَّ ولادة هي شرّيرة وآتية من إبليس. وبحسب ثرثرته، هناك خالقُ الشياطين الذي هو شخص آخر. وروى أخبارًا سخيفة بكلِّيَّتها وصبيانيَّة عن قيامة أشخاص ماتوا وبقر وسائر الحيوانات. حسب محاربي الإيقونات، يبدو أنَّه، في **أعمال يوحنّا**، يحارب الصور. وبمختصر الكلام، هذا الكتاب يتضمَّن آلاف الصبيانيّات والأخبار اللامعقولة، والاستنباطات الشرّيرة والأكاذيب والبلادات والتعارضات والكفر والمسّ بالألوهة. وحين نقول إنَّه ينبوع ووالدة كلِّ هرطقة، لا نبتعد كثيرًا عن ظاهر الحقّ"[3].

* * *

أردنا بداية أن نورد هذا النصَّ من فوتيوس، بطريرك القسطنطينيَّة في القرن التاسع، مع التقلُّبات التي عرفتها بطريركيَّته[4]. إنَّ العلاقات بين **الأعمال** والهرطقة أمرٌ معروف منذ القرن الرابع. ونذكر أوَّل من نذكر أوسيب القيصريّ صاحب **التاريخ الكنسيّ**[5]:

(1) Leucius Charinus.

(٢) سيمون الساحر الذي نجد أصوله في أع ٨: ٩ي. صار في ما بعد أبا كلِّ الهرطقات الغنوصيَّة.
J. Quasten, *Initiations aux Pères de l'Église,* t. I, 1955, Cerf, Paris, p. 290-291.

(٣) يُدعى هذا النصّ Codex ١١٤، ونحن نقرأه في فوتيوس، **المكتبة**، الجزء الثاني، باريس، ١٩٦٠، ص ٨٤–٨٦ ترجمة R. Henry.

(4) A. de Nicola, "Photius", *Dict. Enc du Christianisme Ancien* (*DECA*), Cerf, Paris, 1990, p. 2026-2027.

(٥) أوسابيوس القيصريّ، **التاريخ الكنسيّ**، ترجمة إسكندر شديد، المجلَّد الأوَّل، الكتاب الثالث (٢٥: ٦–٧) ص ١٨٧.

"ووجدنا من الضروريّ أن نضع كذلك لائحة (المؤلَّفات) الأخيرة، فاصلين الكتابات المقدَّسة، التي هي بحسب التقليد الكنسيّ، صحيحة، أصيلة ومعترف بها، عن الكتب التي ليست عهديَّة (أي من العهد الجديد) بخلافها، إنَّما متنازع فيها، على الرغم أنَّ (الكتّاب) الكنسيِّين يعرفونها في معظمهم. هكذا نستطيع أن نعرف هذه الكتب بالذات وتلك المعترف بها، لدى الهراطقة، تحت اسم الرسل، سواء المقصود "أناجيل بطرس، بولس، متّيا، وآخرين أيضًا، أو أعمال أندراوس، يوحنّا والرسل الآخرين"؛ فما من أحد إطلاقًا بين مستقيمي الرأي الذين تعاقبوا وجدَ من الصالح ذكرها في أحد مؤلَّفاته. زِدْ أنَّ طابع التعبير يبتعد عن الطريق الرسوليَّة، والفكرة والعقيدة اللتين تحتويهما هما على اختلاف شديد مع استقامة الرأي الحقيقيَّة، ممّا يُثبت بوضوح أنَّ هذه الكتب هي اختراعات هراطقة، وبالتالي لا ينبغي حتّى إحلالها بين المنحولات، بل ينبغي طرحها باعتبارها منافية للعقل وكافرة تمامًا".

وفي خطِّ أوسيب نذكر أمفيلوك[٦]، أسقف إيقونية (في تركيّا) في التقطاع العاشر، والبابا لاوون في الرسالة العاشرة (١٥: ١٥، **الآباء اللاتين** ٥٤: ٦٨٨)، والبابا إنّوسانت الأوَّل في الرسالة السادسة (المقطع السابع)، وهذا دون أن ننسى قرار البابا جيلاس (٤٤٠–٤٦١). في هذا المجال[٧]، نذكر قرار جيلاس مع لائحة بالنصوص التي ينبغي أن نأخذ بها وتلك التي ينبغي أن نرذلها. تحدَّث عن سبعة وعشرين سفرًا في العهد الجديد. ثمَّ أضاف لائحة نصوص أنتجها الهراطقة والمنشقُّون، والكنيسة الكاثوليكيَّة الرسوليَّة الرومانيَّة لا تأخذ بها، في أيِّ حال. ذُكرت أعمال أندراوس، توما، بولس وتقلا... وذكر أيضًا راعي هرماس. وفي مجمع نيقية الثاني، سنة ٧٨٧، قُرئت أعمال يوحنّا وشُجبَتْ بشكل علنيّ[٨]. نشير هنا إلى أنَّ محاربي الإيقونات استندوا إلى نصٍّ من أعمال يوحنّا ليرذلوا الإكرام للصورة. هو كتاب ممقوت. ينبغي أن لا يُنسَخ بعد، بل أن يُرمى في النار.

وما هي الهرطقات الموجودة في هذا الكتاب، بحسب رأي فوتيوس؟ أوَّلاً، الفصل بين إله اليهود الشرِّير والمسيح الذي هو الصالح. نحن هنا في الخطِّ اليهومسيحيّ. ثمَّ يخلط بين الله الآب والله الابن، كما يرفض تجسُّد الابن وصلبه. وعلى مستوى اللاهوت الخلقيّ، يرفض الزواج بحيث نصبح في خطِّ الفكر التعفُّفيّ. كما يعتبر ولادة الأولاد أمرًا شرِّيرًا. وينتهي كلام البطريرك فوتيوس بأنَّ **أعمال الرسل** هو النبع لكلِّ الهرطقات[٩].

* * *

يبدو أنَّ هذا الحكم كان الضربة القاضية، بحيث غابت المنحولات قرونًا عديدة من الزمن، وينبغي أن ننتظر القرن التاسع عشر لتعود هذه الكتابات المسيحيَّة الأولى إلى الوجود. لهذا، نريد العودة إلى الوراء لنرافق هذه "المنحولات" (انتحلت صفة ليست لها، اعتُبرَت موحاة وملهمة فلم تكن كذلك) وقبولها في الكنيسة منذ البدايات.

(6) Amphiloque d'Iconium, *Initiation,* vol. III, p. 421ss., fragment 10 (CCG 3, p. 235-236).

(7) "Gélase", *DECA,* p. 1021-1022.

(8) J. D. Mansi, *Sacrorum Conciliorum nova et amplissima collectivo,* t. XIII, Florence, 1767, col. 168-176 et 430 (Canon 9).

(٩) المرجع الأساسيّ،

Eric Junod, "Actes apocryphes et hérésie, le jugement de Photius", in *Les Actes apocryphes des Apôtres,* Labor et Fides, Genève, 1981, p. 11-24.

أوَّل مرَّة ظهر لفظ "مكتوم، مخفيّ"[١٠] في الكتابات المسيحيَّة، عند إيرينه، أسقف ليون، في فرنسا. استعمله للكلام عن "نصوص مُقتَلعة من الكتب المقدَّسة"[١١]، وبعبارة أخرى: نصوص محرَّفة. أراد أسقف ليون بكلامه أن يشير إلى نصوص هرطوقيَّة ممّا يعطي منذ البداية لون احتقار للفظ "أبوكريفا". إنَّما هو لا يأخذ بعين الاعتبار البُعد المخفيّ لهذه الكتابات. ولكنَّ هذه التسمية لا تبدو سالبة في شكل مباشر: مثلاً يستعيدها كليمان الإسكندرانيّ لكي يجعل من المسيحيّ، الغنوصيّ الحقيقيّ، ذاك الذي يمتلك معرفة الله. ولكن ليس الأمر كذلك حين يكون الموضوع تحريف الوحي، كما يقول هِيبُوليت الرومانيّ **في الردّ على جميع الهرطقات**: تساءل حول "الجنون المفرط للهراطقة – الذين توصَّلوا – حين صمتوا وحين أخفوا أسرارهم التي لا يمكن الإفصاح عنها – إلى جعل الكثيرين يظنُّون أنَّهم يكرِّمون الله"[١٢]. وأضاف: "هي أسرارهم التي لا يمكن أن نسمِّيها بل ينبغي الآن أن نفضحها"[١٣]؛ فالهرطوقيّ يتميَّز بالتخفِّي، بواقع يجعله يحفظ مصادره سرِّيَّة، فيعمل على إنتاج منحول. ويتحدَّد موقعه، في شكل من الأشكال، على طرف نقيض مع الإنسان المتديِّن الذي لا يُخفي[١٤] شيئًا على الذين من ديانته: "همُّه أن يعرض، أن يبرهن، أن يعلن، أن يكشف، أن لا يصمت، أن لا يخفي، أن يكشف، أن يجعل في الضوء، أن يجعل الأمور في وضح النهار"[١٥]. ويعطي ترتليان مثلاً مع **راعي هرماس**[١٦] الذي قدَّمه على أنَّه "نصٌّ منحول محرَّف"[١٧].

أوردنا ثلاثة مصادر: إيرينه، هِيبُوليت، ترتليان. وهي تساعدنا على إبراز خصائص المنحولات: موقع هذه النصوص هو على هامش الكتب المقدَّسة. وكيف نتعرَّف إليها؟ معياران يساعداننا: الحقيقة والقانونيَّة. يُحلُّون محلَّ الحقيقة سرقة آثار أخرى وتحريف معانيها والاختباء وراء سرٍّ مزعوم. على مستوى الفكر وعلى مستوى الأشخاص. ومحلّ الوحي والإلهام الذي يحمل إلينا كلام الله، يقدِّمون نظريّاتهم الخاصَّة.

في وقت لم يكن قانون (لائحة) الأسفار المقدَّسة مثبتًا، برز مفهوم: كتابات منحولة، مكتومة. استعمله أوريجان في **رسالة إلى أفريكانس** يقول فيها: ذُكر استشهاد أشعيا في منحول[١٨]. استُعمل اللفظ للدلالة على مصدر أدبيّ يستحقُّ الاهتمام ولكنَّه يُعرَف رسميًّا أنَّه ليس جزءًا من الكتاب المقدَّس[١٩]. ما نلاحظ هو أنَّ هذه الكتابات التي ندعوها اليوم منحولة وُجدَت في كودكس مع الأسفار التي تعتبرها الكنيسة قانونيَّة. ما هو

(١٠) "Apocryphe", caché، من اليونانيّ apo، "بعيد عن"، ثمّ krufw، "ما هو سرّي ومخفيّ".
S. Mimouni, "Histoire d'un concept transversal du Livre", dans *Apocryphité. Hommage à Pierre Geoltrain,* Turnhout, Brepols, 2002, p. 1.

(١١) **الردّ على الهراطقة**، الكتاب الأوَّل ١٩: ١.

(12) Hippolte de Rome, *Réfutatio omnium haeresium,* I, n. 1.

(13) Ibid, V, 12, 1.

(14) apokruftein.

(15) D. A. Bertrand, "La notion d'apocryphe dans l'argumentation de la *réputation de toutes les hérésies* dans *Apocryphité,* p. 134-135

(16) Hermas, Pasteur. قال ترتليان عنه: جعلته جميعُ الكنائس بين المنحولات، المحرَّفات والزواني. هذه المؤلَّفات تعارض "المصادر الإلهيَّة" أي الأسفار المقدَّسة.

(17) Tertullien, *De Pudicitia,* X, 12, SC 394, p. 199.

(١٨) هو **صعود أشعيا** أو **استشهاد أشعيا**. Origene، *Lettre à Africanus,* 13, 9

(19) E. Junod, "La formation et la composition de l'Ancien Testament dans l'Église grecque des quatre premiers siècles", dans J.-D. Kaestli, O. Wermeilinger (éd.), *Le canon de l'Ancien Testament. Sa formation et son histoire,* Genève, Labor et Fides, 1984, p. 122.

وضعها؟ هذا ما لا يُعرَف بالتحديد. أشرنا مثلاً إلى **راعي هرماس**. مرَّة قيل هو نصّ "قانونيّ" ومرَّة أخرى قالوا: "نصّ غير قانونيّ"؛ فكان لا بدَّ من الانتظار لكي يتثبَّت قانون الأسفار المقدَّسة.

نذكر أوَّلاً أوريجان مع العظة السادسة والعشرين حول سفر العدد، مع بداية إنجيل لوقا الذي يقول: "إذ كان كثيرون أخذوا بتأليف قصَّة في الأمور المتيقِّنة عندنا" (لو ١: ١).

ذكر أوريجان "أناجيل" عديدة لا تقوم بين الأناجيل الأربعة. دوَّنها هراطقة "بدون نعمة الروح". مثلاً: إنجيل المصريِّين، إنجيل الرسل الاثني عشر، إنجيل باسيليد، الإنجيل بحسب توما، الإنجيل بحسب متّى. وبعد هذه اللائحة أضاف: "ما زلنا نقرأ بعضًا منها لئلاَّ نبدو جهّالاً بسبب الذين يتخيَّلون أنَّهم يعرفون شيئًا حين يعرفون هذه النصوص". ثمَّ إنَّ أوريجان أورد **إنجيل العبرانيِّين**[٢٠]. وسوف يميِّز ثلاث فئات من الكتب: "المقبولة"، أي تلك التي يقبل بها العدد الأكبر. ثمَّ "المتنازع عليها"، وهي التي يُشَكُّ بصحَّتها. وأخيرًا "الكاذبة" وهي التي ألَّفها الهراطقة[٢١].

ونطرح السؤال: كيف نميِّز الأسفار "المنحولة" من الأسفار "القانونيَّة"؟ إذا كنّا نؤمن أنَّ القانونيَّة دُوِّنت بإلهام الروح القدس، أي أنَّ الروح وضع يده مع يد الكاتب الملهم، فإنّ وُجود خطأ واحد في سفر من الأسفار، ينبغي علينا أن نرذل هذا النصَّ من قانون الأسفار المقدَّسة. ولو تعرفون أنَّ المبدأ يعود إلى إيرينه أسقف ليون. تحدَّث عن جماعة "المرقوسيِّين"، تبَّاع "مرقوس" الذي كان عضوًا في مدرسة ولنطين الشرقيَّة، وعلَّم في آسية الصغرى[٢٢]. قال عنهم إيرينه: هم بدعة غنوصيَّة. أدخلوا "عددًا لا يُحدُّ من الكتابات المنحولة والهجينة، فبركوها بأيديهم لكي يؤثِّروا على أصحاب الفكر البسيط وعلى الذين يجهلون الكتابات الصادقة" (**الردّ على الهراطقة** ١/٢٠: ١). وأعطى مثلاً مأخوذًا من **خبر طفولة يسوع** (ف ٦): إذ كان يسوع يتعلَّم الحروف الأبجديَّة، وإذ طلب منه معلِّمه أن يقول "باء"، أجابه: "قُلْ لي أنتَ أوَّلاً ما هي "ألف" وأنا أقول لك ما هي "باء"، فرُذل مثلُ هذا الكتاب.

هكذا تبدو الأسفار المنحولة، وهكذا نميِّزها عن الأسفار الصادقة. وكم نتألَّم حين يعتبر عالمنا العربيّ أنَّ كلَّ "إنجيل" هو إنجيل، شأنه شأن الأناجيل الأربعة، بل هم يتركون الأناجيل الأربعة ويعتبرونها مجازيَّة[٢٣] لأنَّها تتحدَّث عن يسوع المسيح الذي هو ابن الله، ويوردون الأناجيل المنحولة ويتوسَّعون في إيرادها. لا مجال لذكر يسوع "يتكلَّم وهو طفل" لكي يدافع عن بتوليَّة أمِّه، ولا عن تلك النخلة التي انحنت لتقطف مريم من ثمارها، ولا عن هذا التراب الذي يجبله يسوع ويرسله فيطير ويغرِّد. وأودُّ أن أذكر حادثة في هذه الأناجيل مع أخبارها الصبيانيَّة، بل الشرِّيرة التي تعطي فكرة عن يسوع بعيدة كلَّ البعد عن أناجيلنا: كان يسوع يلعب مع أحد رفاقه. صدم هذا الرفيقُ يسوع، فقال له: "عفوًا يا ابن الله"، فأجاب يسوع: "إن كنتُ ابنَ الله، فلتسقط وتمت". وفي الحال سقط ومات. من هذا النوع تكون الأناجيل المنحولة التي رفضتها الكنيسةُ منذ البداية.

* * *

(٢٠) الخوراسقف بولس الفغالي، "إنجيل العبرانيّين"، **مجلّة بيبليا** ٤٨ (٢٠١٠) ٣١–٣٧.

(21) Jean-Marc Prieur, *Les écrits apocryphes chrétiens,* Cahiers Évangile, n. 148, juin 2009, p. 12-13.

(22) *Initiation*, I. p. 303.

(٢٣) الدكتور أحمد حجازي السقّا، **البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل**، الجزء الثاني (دار الجيل – بيروت) ١٩٨٩، ص ٢٨١ي، وكلُّ ما يتعلَّق بالروح القدس البارقليط.

(٢٤) حاشية ٢١، ص ١٣.

في خطِّ إيرينه وأوريجان، بدأ أوسيب القيصريّ فميَّز بين الكتب "المقبولة" والكتب "المتنازع" فيها. أمّا الكتب المقبولة فهي: الأناجيل الأربعة، أعمال الرسل، رسائل بولس، يوحنّا الأولى وبطرس الأولى، وربَّما سفر الرؤيا. والكتب "المتنازع فيها" هي: ٢ بط؛ ٢ و٣ يو، يهو، وفي رأي البعض سفر الرؤيا. وفي هذه الفئة الثانية، فئة تتفرَّع منها: راعي هرماس، رسالة برنابا، الديداكيه أو تعليم الرسل الاثني عشر. ثمَّ أضاف أوسيب أعمال بولس، رؤيا بطرس، إنجيل العبرانيِّين الذي يسرُّ العبرانيِّين الذين قبلوا المسيح.

وأضاف أوسيب إلى هاتين الفئتين فئة ثالثة، هي الكتب التي يقدِّمها الهراطقة على أسماء الرسل. ولكنَّ الأسلوب فيها يختلف عمّا في الأسفار القانونيَّة. ثمَّ إنَّ "الفكر والتعليم يختلفان كلَّ الاختلاف عن استقامة الرأي في الكنيسة. وهذا ما يبرهن بوضوح أنَّها "مفبركة" بيد الهراطقة. لا يمكن أن تقبل هذه الكتب مع أيِّ فئة، بل نرذلُها كلِّيًّا على أنَّها باطلة وكافرة. ويذكر هنا إنجيل بطرس، إنجيل توما، إنجيل متّى (المزعوم). ويذكر أعمال بطرس، أعمال توما، وأعمال "سائر الرسل"[٢٤].

نلتقي هنا مع **قانون موراتوري**[٢٥] الذي أعطانا في القرن الثاني المسيحيّ لائحة بالنصوص التي تُقرأ علنًا في الكنيسة الكاثوليكيَّة. وبعد أن أعطى لائحة بالرسائل البولسيَّة، قال: "ويُحكى أيضًا عن رسالة إلى اللاودوكيِّين ورسالة أخرى إلى الإسكندرانيِّين: رسالتان صيغتَا على اسم بولس لهرطقة مرقيون ولكثيرين آخرين، ولا يمكن قبولهم في الكنيسة الكاثوليكيَّة. فالسمُّ لا ينبغي أن يمتزج بالعسل". ذكر الكاتب رؤيا يوحنّا ورؤيا بطرس، ولكنَّه قال عن رسالة بطرس: لا يريدُ بعضهم أن تُقرأ في الكنيسة. وذكر **راعي هرماس** موضحًا أنَّ هذا الكتاب لا يُقرأ في الجماعة، بل على انفراد، (وهكذا) اختلف رأيُه عن رأي ترتليان.

وقال: هناك كتابات تشبه تلك التي نحتفظ بها على أنَّها قانونيَّة، ولكن يجب أن نستبعدها لسببين، الأوَّل، نُسبَت كذبًا إلى كاتب أحد الأسفار القانونيَّة؛ السبب الثاني، هي ترتبط بالهراطقة، ولاسيّما هرطقة مرقيون.

ونلتقي أيضًا مع سرابيون الأنطاكيّ[٢٦] في حدث يتعلَّق **بإنجيل بطرس**؛ ففي كتاب دوَّنه سرابيون، وضاع الآن، يقول: كان يزور روسُّس، في أبرشيَّته، سُئل عن **إنجيل بطرس** الذي لم يكن قرأه، فسمح بقراءته معتبرًا أنَّ قرَّاءه متعلِّقون بالإيمان الكاثوليكيّ. ولكنَّه ما عتَّم أن غيَّر رأيه، بعدما قرأ الكتاب، فرأى الأفكار المهرطقة، إذ أخذ الكتاب من الظاهريِّين[٢٧]. اعتبر أنَّه واجد "التعليم الحقيقيّ حول المخلِّص"، مع بعض المقاطع المضافة. وفي النهاية، استبعد الكتاب كلِّيًّا لأنَّ كاتبه ليس بطرس، وإن هو قبل به أوَّلاً فلأنَّه "تقبَّل بطرس والرسل مثل المسيح". أمّا "الكتب التي تحمل أسماءهم كذبًا فنحن نرذلها لأنَّ مثل هذه الكتابات لم تنتقل إلينا منهم".

* * *

وهكذا نصل إلى القرن الرابع. ونبدأ مع أثناز الإسكندرانيّ في رسالة العيد، رقم ٣٩[٢٨] التي أرسلَتْ سنة ٣٦٧. فيها لام الأسقف الهراطقة لأنَّهم يُدخلون

(٢٥) نتذكَّر أنَّ هذا النصَّ كُشف سنة ١٧٤٠ بيد العالم Muratori في المكتبة الأمبروسيَّة في ميلان. هو نصّ لاتينيّ مترجم عن اللغة اليونانيَّة. يعود إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث.

(٢٦) كان الأسقف الثامن على كرسيّ أنطاكية، وقابلت أسقفيَّته سبتيم سويريوس (١٩٣–٢١١) *Initiation,* I, p. 324–326. اشتهر برسالة كتبها إلى كنيسة Rhossos في كيليكية (من أعمال تركيّا). أورد أوسيب القيصريّ في **التاريخ الكنسيّ** (٦/١٢: ٣–٦) مقطعًا منها.

(٢٧) في الفرنسيَّة Docètes من فعل dokeo ، "بدا"، "ظهر". هي اتِّجاهات مسيحيَّة تنكر واقع بشريَّة يسوع المسح وتعتبر أنَّه تظاهر وما كان إنسانًا حقًّا، بشريَّته هي "مظهر" (وقد تسمَّى هذه البدعة: المظهريِّين)، "شبه" (من هنا: "شُبِّه به").

(٢٨) epistolai eortatikai Lettres festales, . خلال القرن الثالث اعتاد أساقفة الإسكندريَّة أن يعلنوا كلَّ سنة وقت الصوم وتاريخ العيد. بدأ هذه العادة دنيس الإسكندرانيّ. أمّا أثناز فلبث أمينًا لهذه الرسالة حتّى عندما كان في المنفى. *Initiation,* III, p. 89–92

كتابات منحولة، ويعتبرونها ملهمة من لدن الله. في هذه المناسبة، عدَّد أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد التي هي القانون الذي تأخذ به الكنيسة وتتناقله[٢٩]. استعمل أثناز لفظ "منحول" ليدلَّ على نصوص ينبغي أن تُستبعد من القانون للأسباب التالية: الهراطقة هم الذين كتبوها. أصلها ليس من عند الله. عنوانها يُضلُّ الناس بسبب تشابهها مع عناوين النصوص القانونيَّة.

هذه **الرسالة** التي توخَّت أن تذكِّر المؤمنين أنَّ المسيح هو مفتاح الكتاب المقدَّس، أعطت حيّزًا واسعًا لتثبيت قانون الأسفار المقدَّسة. وهكذا "طبعت بطابعها حقبة أساسيَّة في مسيرة تحديد الأسفار القانونيَّة في العهد القديم والعهد الجديد كما في استبعاد الكتابات المنحولة"[٣٠]. من جهة، هي الكنيسة التي تتأسَّس على الكتب القانونيَّة حيث تجد الحقيقة. ومن جهة ثانية، الهراطقة الذين يسيئون إلى الحقيقة مستعملين المنحولات. وما هو خطير في نظر أثناز، هو أنَّ بعض المسيحيِّين الأتقياء، ولكنّ البسطاء يتأثَّرون بالهراطقة ويقرأون هم أيضًا المنحولات، فلا بدَّ من تحذيرهم. والنصوص التي يورد أثناز تحمل اسم أخنوخ، أشعيا، موسى. والمسيحيُّون الذين قبلوا بها خُدعوا بالاسم المشترك والهراطقة يستعملون هذه الأسماء بشكل حيلة ليبيِّنوا أنَّ كتبهم قديمة. في الواقع، هم ألَّفوا هذه الكتب، وضلالهم ضلالان. كتبوا هذه الكتب لأجل منفعتهم لا من أجل منفعة الآخرين. والضلال الثاني: هم لم يتقبَّلوا هذه الكتب من الله، ولا هي ملهمة. لهذا نتنبَّه إلى خديعتهم.

أمّا تحريف هذه الكتب فيتوخَّى تبرير طروحات الأريوسيِّين والتشكيك بألوهيَّة المسيح. أمامنا المسيح والكتاب المقدّس لكي نثبّت معرفة الحقيقة[٣١]. كلّ هذا يقوده إلى القول إنَّ الكتاب المقدَّس هو "ينبوع خلاص"؛ فإذا أردتم الحقيقة، أمضوا إلى الكتاب المقدَّس لا إلى أكاذيب الأسفار المنحولة[٣٢].

ومع أثناز، يأتي كِرِلُّس أسقف أورشليم في الفقاهة الرابعة حول المعموديَّة، التي تعود إلى سنة ٣٥٠. ثمَّ القانون ٥٩ من مجمع لاودكيَّة الذي انعقد بين سنة ٣٥١ وسنة ٣٨١. والقانون ٨٥ من **القوانين الرسوليَّة**[٣٣]: "لتكن عندكم جميعًا، أيُّها الإكليريكيُّون والعلمانيُّون، كتب العهد القديم مكرَّمة ومقدَّسة... أمّا كتبنا، أي كتب العهد الجديد، فهي: الأناجيل الأربعة... وأعمالنا أعمال الرسل". والقدِّيس أوغسطين أعطانا في **التعليم المسيحيّ**[٣٤] لائحة بأسفار العهد القديم والعهد الجديد، المعتبرة صادقة. منذ البداية، قدَّم نهجه: هناك عنصران تستند إليهما دراسة الأسفار المقدَّسة: طريقة اكتشاف ما نريد أن نفهم فيها. طريقة التعبير عمّا فهمنا. ومن

(٢٩) نتذكَّر أنَّ النصوص اليونانيَّة ضاعت بأكثرها فلم يبقَ منها سوى تقطاعات، fragments (**الآباء اليونان** ٢٦: ١٤٣٥–١٤٤٠). في اللاتينيَّة، كان نصّ منقول عن السريانيَّة ولكن نُشر النصُّ السريانيّ في SC n. ٣١٧ بيد Michelin Albin والنصُّ القبطيّ بيد L. Th. Lefort، in *CSCO* 150. ثمَّ قدَّم مع النصّ القبطيّ التقطاعات اليونانيَّة.

(30) G. Aragone, « La lettre festale 39 d'Athanase », dans *Le Canon du NT*, note 30.

(31) E. Junod, « D'Eusèbe de Césarée à Athanase d'Alexandrie en passant par Cyrille de Jérusalem: de la construction savante du Nouveau Testament à la clôture ecclésiastique du canon », dans G. Aragone, E. Junod et E. Norelli, *Le Canon du Nouveau Testament,* Genève, Labor et Fides, 2005, p. 188.

(32) Marie-Anne Vannier, « Les critères proposés par les Pères pour distinguer les écrits apocryphes », dans *Connaissance des Pères de l'Église,* n. 108 (déc. 2007), *Apocryphes et visions,* p. 23-24.

(٣٣) تعريب الأب جورج نصُّور، سلسلة "أقدم النصوص المسيحيَّة"، سلسلة "النصوص الليتورجيَّة"، ٦، الكسليك ٢٠٠٦، ص ٤٤٤–٤٤٥؛ راجع حاشية ٣٠، ص ١٧٠–١٧١.

(34) Augustin, *De doctrina christiana,* II, 8, 13.

أجل الوصول إلى هذين الهدفين، طرح قواعد تفسير الكتاب المقدَّس. استند إلى ما قاله مجمع هيبُّونه (أو عنّابة) سنة ٣٩٣ ومجمع قرطاجة سنة ٣٩٧، اللذين أقامَا رباطًا مباشرًا بين الكتابات القانونيَّة والقراءة العلنيَّة في الكنيسة. "الكتابات القانونيَّة هي ما يُقرأ في الكنيسة"[٣٥]. وهذا ما ذكَّر به أوغسطين في الرسالة ٦٤ إلى كونتيليانس[٣٦]. ذاك معيار أساسيّ يستبعد كتابات الهراطقة وصولاً إلى المانويِّين والأريوسيِّين وغيرهم.

* * *

غابت النصوص المنحولة وطالت غيبتها، وها هي اليوم تعود إلى الواجهة؛ فما هو سبب انطلاقتها في القرن العشرين بشكل واسع؟

أوَّل سبب لنجاح النصوص المنحولة هو أنَّها احتفظت **بإنجيل يعقوب التمهيديّ** و**بأعمال بيلاطس**. ثمَّ هناك الأخبار والصور العديدة. نصوص تروي لنا القصص وترضي رغبتنا بأن نعرف أكثر حول أشخاص أو أحداث غير موجودة في النصوص القانونيَّة؛ فإذا أردنا أن نعرف طريقة حياة مريم قبل أن تلد يسوع، نقرأ **إنجيل متّى المزعوم** (أو بْسُودُومَتّى). أمّا إذا رغبنا في أن نعرف كيف انتهت حياتها، وكيف انتقلت من هذا العالم إلى العالم الآخر، نقرأ **انتقال مريم**. والنسبة إلى الشياطين والأبالسة ونفوس الموتى... هناك أخبار تغذِّي المخيِّلة؛ فالكتابات المنحولة تملأ فراغ النصوص القانونيَّة، وتكثر من التفاصيل اللذيذة بالنسبة إلى الأولاد وإلى الكبار، التي ما تزال نائمة في النصوص اليونانيَّة والقبطيَّة والسريانيَّة. من أجل هذا نشر دير سيِّدة النصر، نِسْبَيْه، غوسطا، في سلسلة "الكنيسة في الشرق"، ثلاثة أجزاء: **الأناجيل المنحولة، الرسائل المنحولة، الرؤى المنحولة**، بسرعة نفدت الطبعة الأولى. كما دوَّن الخوري أنطوان الدويهيّ كتابًا عن حياة مريم نال نجاحًا كبيرًا.

* * *

وممّا ساعد على نجاح الكتابات المنحولة هو أنَّ بعضها يتلاقى حقًّا مع توجُّهات روحيَّة معاصرة، أعني الكتابة الغنوصيَّة، تلك الباحثة على المعرفة الباطنيَّة التي تخرِّج من المؤسَّسة وتنطلق في مدى حرّ لا يقف في وجهه حاجز. نصوص موجودة عند ملتقى الفكر المسيحيّ أو اليهوديّ، والنظريّات الأفلاطونيَّة والديانات الشرقيَّة القديمة. كلُّها ترسم أمامنا عالمًا ناقصًا، خلقَه الإلهُ الفاطر، الضعيف (الذي لا يقدر أن يمنع الشرّ)، المؤذي (يعرف أن ينتقم من الأشرار)، عالم فيه تكون النفوس محبوسة كما في سجن؛ فالجسد نفسه هو سجن. ذاك ما يقول الغنوصيُّون في خطِّ اليونان "سُوما سيما"[٣٧] (الجسد قبر). سُجنت النفس في جسد الموت، مخدوعة بانجذابات العالم، فنامت بعد أن نسيَت طبيعتها الإلهيَّة الحقيقيَّة. ولكن، الحمد لله، يأتيها رسول الخير الذي يدعوه الغنوصيُّون المسيحيُّون "المخلِّص"، فيحمل معرفته (الغنوصة[٣٨]) عابرًا العوالم: ما إن تستيقظ النفوس حتّى تكتشف في ذاتها الطبيعة الإلهيَّة، فتعود نحو الخير. هذا الطرح الروحيّ يمتلك شيئًا يجتذب عصرنا؛ فهو يتأسَّس على رذْل كلِّ المؤسَّسات وعلى بحث شخصيّ وفرديّ عن الخلاص. والغنوصيُّون يعلنون أنَّنا نجد في ذواتنا الطبيعة الإلهيَّة. وهم يقدِّمون "طريقًا" فيها نهتمُّ بنفسنا ونسيطر على جسدنا. الشباب يشكِّون بمجتمع يعتبر نفسه منطلقًا في عمل البناء، ولكنَّه يظهر ضعفه في مجالات عديدة. هم حذرون من عالم يسيطر عليه الأغنياء، ولهذا يقرأون

(35) O. Wermelinger, "Le canon des Latins au temps de Jérôme et d'Augustin", dans *Le Canon de l'AT*, p. 173.

(36) Lettre 64 à Quintilianus.

(37) Swma σημα

(38) Gnwsij

إنجيل مريم أو **إنجيل فيلبُّس** حيث الديموقراطيَّة الحقَّة (لا رجل ولا امرأة)، ورفض العقلانيَّة المتحجِّرة.

* * *

وممّا يساعد على نجاح الكتابات المنحولة هو رفض "المؤسَّسة" التي تسيطر، الغيورة على سلطتها، التي لا خلقيَّة لها ولا شفقة عندها؛ فالكنيسة هي أوَّل من يدفع ثمن هذا الموقف الذي يجد في المنحولات المناسبة النموذجيَّة لتغذية منطق فيه بعض الهذيان؛ فهذه الكتابات "المكتومة" تخفي حقائق لا تريد السلطة أن تظهرها. إذًا، هي وحدها "صادقة"، وهي وحدها تدلُّ على "الكنيسة الحقيقيَّة" التي تنقل فكر يسوع "الحقيقيّ"، وتعارض تعاليم تريد السلطة أن تفرضها على نفوسنا وعلى حياتنا، ولا تقبل أن يشاركها أحد. من هذه الكتابات، صدرَتْ قصص عديدة عملت السلطة جهدها لكي توقفها بحيث لا يصل صداها إلى عامَّة الشعب.

* * *

الكتابات المنحولة هي نصوص مشوِّقة لأنَّها تتيح لنا أن نعرف أنَّ المسيحيَّة الأولى كانت مسيحيَّة متنوِّعة تعبِّر عن الخصائص الجغرافيَّة: مثلاً **أعمال فيلبُّس** تصوِّر مصير هذا الرسول في منطقة فريجية من أعمال تركيّا. و"دورة الرها" التي دُوِّنت لكي تبرز وجه الجماعة السريانيَّة في هذه المدينة. كما تعبِّر عن الخيارات اللاهوتيَّة (الكتابات الغنوصيَّة والتشديد على دور المرأة في الرسالة، مثل مريم المجدليَّة أو تقلا). ونحن لا ننسى الطبقات الشعبيَّة التي أعطت النجاح لأناجيل الطفولة. ثمَّ إنَّ هذه الكتابات تكشف لاهوت مسيحيِّين من أصل يهوديّ (إنجيل الإبيونيِّين، إنجيل الناصريِّين)، وتجعلنا ندرك الجدالات حول ألوهيَّة المسيح (أرادت بعض الكتابات أن تدلَّ على عمل يسوع كإله منذ الطفولة)، حول موقف المؤمن من العالم، حول عالم الجنس من زواج أو تعفُّف، حول أهمِّيَّة العوائد التي تحاول كلُّ جماعة أن تحافظ عليها. إنَّ دراسة الكتابات المنحولة تساعدنا على معرفة الأسفار القانونيَّة ومعرفة تاريخ الكنيسة[٣٩].

الخاتمة

ذاك هو عالم المنحولات. نصوص ظهرت في أوائل عهد الكنيسة، ورافق بعضها الأسفار البيبليَّة. ألَّفها مؤمنون أوردوا مآثر أشخاص كبار في نظرهم وتعليمَهم والإيحاءات التي نعموا بها. نصوص كثيرة ضاعت أو أُتلفت لأنَّها اعتُبرت مغايرة لتعليم الكنيسة. ونصوص أخرى عرفَتْ نجاحًا كبيرًا، سواء في سرد حياة القدِّيسين أو في عالم الإيقونات أو في الليتورجيّا، ومنها ميلاد مريم العذراء وتقدمتها إلى الهيكل... ولكنَّ آباء الكنيسة انطلقوا من بداية إنجيل لوقا المتكلِّم عن أكثر من "قصَّة" عن حياة يسوع وتعاليمه وعجائبه. ما هو اليقين وما هو الكاذب. وهكذا منذ البداية البداية كان الآباء حذرين منذ إيرينه أسقف ليون وسرابيون أسقف أنطاكية وأثناز وأوغسطين وغيرهم، ميَّزوا بين النصوص القانونيَّة والنصوص المنحولة. وهكذا حافظوا على إيمان الجماعات. أمّا اليوم، فما عادت الكنيسة تخاف من هذه النصوص التي هي بعض نتاج مؤمنيها. ونحن اليوم نقرأها ونميِّز ما يجب أن نحتفظ به وما يجب أن نرذله ولاسيَّما تلك الصور التي تبعدنا عن عمق الإنجيل أو الأناجيل الأربعة؛ فعظمة الأناجيل وسائر كتب العهد الجديد، تدخلنا في سرِّ المسيح الذي وُلد في التواضع، وما أفصح عن طبيعته الإلهيَّة إلاَّ بعد وقت، فكانت الذروةُ في حياته الصلب والموت والقيامة. هو الذي قال الحقيقة فصُلب. هو الإنسان بكلِّ معنى الكلمة فمات. هو الإله الذي قام بقدرته الذاتيَّة وخرج من القبر لأنَّ الموت لا يمكن أن يكون له سلطان عليه. في هذا الإطار نقرأ الأسفار المنحولة.

(39) Régis Brunet, in *Le monde de la Bible* (Les Évangiles secrets appelés apocryphes), n. 189 (mai-juin-juillet 2009), p. 22-23.

إنجيل المصريّين

الأب كميل وليم سمعان
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

يذكر أوريجنيس، في عظته عن لو ١، أناجيل منحولة، ومنها أيضًا إنجيل المصريّين، دون أن يشير إلى طبيعة هذا الإنجيل. كلّ ما يمكن أن نستنتجه من كلامه هو أنّ الكنيسة في زمانه ما كانت تعترف بإنجيل المصريّين ولا تقبله. كلّ ما وصل منه هو بعض المقتطفات التي لا تسمح لنا بالتوصّل إلى معلومات دقيقة وتفاصيل شافية، بالرغم من محاولات العلماء سدّ هذه الثغرة. الشيء المؤكّد هو إنّه لا صله على الإطلاق بين إنجيل المصريّين هذا وإنجيل المصريّين الذي تمّ اكتشافه في نجع حمادي.

نحاول في هذا المقال أن نلقي الضوء على هذا الإنجيل بقدر ما تسمح لنا المقتطفات المتبقّية، ويتناول الموضوع في نقاط ثلاث:

أوّلاً: عنوانه، وطبيعته، ومكان كتابته وزمانها؛

ثانيًا: المقتطفات التي وصلتنا منه؛

ثالثًا: إنجيل المصريّين في نصوص أخرى.

وصلت إلينا من هذه الوثيقة مقتطفات ضئيلة، لذلك لا يستطيع العلماء والدارسون إعطاء معلومات دقيقة وتفصيليّة عن مضمون هذا الإنجيل أو عن بنيته أو تعاليمه أو ملابسات تأليفه. كلّ ما يستطيع الدارسون تزويدنا به هو ما يلي:

أوّلاً: عنوان الإنجيل وطبيعته ومكان وزمان تأليفه

في القرن الثاني الميلاديّ في مصر، كان هناك إنجيل يدعى إنجيل المصريّين، يحمل اسمًا يونانيًّا، هو التالي: Euaggelion kata Aiγuπtious. يرى العالم ف. باور (W. Bauer) أنّ صيغة العنوان التي تَرِدُ فيها الأداة kata Aiγuπtiouj، هي صيغة الأناجيل القانونيّة بالذات، وهذه الأداة هي صيغة تحلّ مكان مضاف إليه الكاتب، *Genetivus Auctoris*. أستنتج من هذه الاعتبارات أمورًا خطيرة، أرجع باور هذا الإنجيل إلى فترة زمنيّة "اعتبر فيها المصريّون أنّ هذا الإنجيل هو إنجيل حياة يسوع وتعليمه".

كان إنجيل المصريّين هذا منتشرًا ومعترفًا به بين المسيحيّين من أصل وثنيّ، في حين كان إنجيل العبرانيّين الإنجيلَ الرسميَّ والمعترفَ به في مصر، في أوساط المسيحّيين من أصل يهوديّ.

ويقوم اعتراضان أساسيّان على نظريّة ف. باور (W. Bauer) هذه. يأتي الاعتراض الأوّل من فون هنجل (Von Hengel)، ويستند على معنى الأداة. لا يتّفق فون هنجل مع ف. باور في اعتبار هذه الأداة

Genetivus Auctoris، ويؤكّد فون هنجل أنّه يجب فهم صيغة العنوان هذه بأنّ الإنجيل هو الشكل الخاصّ الذى يروى فيه، وهذا الأمر ينطبق على الأناجيل القانونيّة. واستعارت الأناجيل الأخرى (المنحولة) صيغة العنوان هذه من الأناجيل القانونيّة. إلاّ أنّه يؤخذ على فون هنجل إرجاعه عناوين الأناجيل إلى فترة غابرة القدم، وهذا الأمر غير مؤكّد.

أمّا الاعتراض الثاني فيأتي من العالِم هورنشو (Hornschuh)، الذي يشيد بنجاح ودقّة رأي ف. باور الذي يعتبر إنجيل المصريّين إنجيل المسيحّيين من أصل وثنيّ (بخلاف إنجيل اليهود، وهو إنجيل المسيحيّين من أصل يهوديّ حسب رأي ف. باور). يرجع أصل إنجيل المصريّين إلى أوساط بدعة قديمة جدًّا، هي بدعة الأنكراتيّين، ولا نستطيع أن نتعرّف عليها في أيّ بدعة من تلك التي وصلتنا أسماؤها. أولت الغنوصيّة، وهي أحدث من البدعة التي نشأ هذا الإنجيل في رحابها، هذا النصَّ سلطة. ولكن لا نستطيع أن نرجع هذه الوثيقة إلى الغنوصيّين. ويواصل هورنشو نظريّته "انطلاقا من العنوان: **إنجيل المصريّين**، مؤكّدًا أنّ هذا الإنجيل لا يمكن أن يكون قد نشأ في مصر. وهذا الرأي القائم على كلمة "المصريّين" صحيح، ولكنّ المعنى هو أنّ هذا الإنجيل كان منتشرًا في مصر.

وتظلّ مسألة مفتوحة:

هل إنجيل المصريّين، الذي وصلتنا منه مقتطفات قليلة عن طريق كتابات إكليمنس الإسكندريّ، كان إنجيلاً على غرار الأناجيل القانونيّة أم لا؟ أم أنّه كان على غرار "حوار المخلّص"؟ إنّ كلّ ما وصل منه، وصلنا في إطار حوار يسوع مع سالومي، وفي صيغة حوار، وهو شكل معروف من أشكال الأناجيل الغنوصيّة. لكنّ إعطاء إجابة شافية على هذا السؤال ليس سهلاً. إنّ مجرّد استخدام شكل الحوار يوحي بقرب هذه الوثيقة من الأوساط الغنوصيّة، كما أنّه يمكن التعرّف عليها في ميول الأنكراتيّين واتجاهاتهم.

أمّا عن **تاريخ كتابة هذا الإنجيل** فلا يمكن تحديده بدقّة. إنّه كتب، على الأرجح، في المنتصف الأوّل من القرن الثاني.

يذكر أوريجنس في عظته – الفصل الأوّل من إنجيل لوقا، وضمن أناجيل منحولة أخرى، إنجيل المصريّين. ولكنّ هذا النصّ لا يتناول "طابع هذا الإنجيل ولا مضمونه. كلّ ما يمكن التأكيد عليه هو أنّ هذا الإنجيل، في زمن أوريجينس، لم يكن مقبولاً في الكنيسة. وما وصل من هذا الإنجيل قليل للغاية، ولا يمكن استنتاج شيء ذي بال انطلاقًا من السطور القليلة التي وصلتنا. ويؤكّد أنّه لا صلة بين هذا الإنجيل، والإنجيل الذي تمّ اكتشافه في نجع حمادي، والذي يحمل الاسم نفسه، "إنجيل المصريّين".

ثانيًا: المقتطفات التي وصلتنا منه

إنّ المصدر الرئيسيّ الذي نستقي منه معلوماتنا القليلة هن هذا الإنجيل هو "إكليمنس الإسكندريّ" الذي يبدو أنّه عرف هذا النصّ، ويذكر بعض مقتطفاته في الكتاب الثالث من (*Stromata*) المخصّص لدحض تعاليم خاطئة عن الزواج والجنس. واجه إكليمنس، بين من واجههم، الأنكراتيّين، مؤكّدًا أنّ هذه المجموعات (ومنهم يوليوس كاسيانوس) تستعمل إنجيل المصريّين، ولكنّه لا يذكر شيئًا عن طريقة استعمالاتهم لهذا النصّ.

يورد إكليمنس لمواجهة الرافضين الزواج والإنجاب ما يلى:

أ- سألت سالومي: "حتّى متى يسيطر الموت علينا؟" "أجاب الربّ: حتّى تكففن، أنتنّ النساء كلكنّ، عن الإنجاب، ليس لأنّ الحياة سيّئة وتفسد الخلق، بل هذا هو نظام الطبيعة. إنجاب وموت يترابطان حتمًا".

ويرجع مقطع لاحق إلى هذا الموضوع، حيث يتوجّه إكليمنس إلى الأنكراتيّين ويقول:

ب- "يعترض البعض، بتعفّف ورع، على خلق

الله، ويشيرون بكلمات يسوع هذه إلى سالومي التي ذكرت بها، إنّنا نجدها، إلاّ إذا كان ثمّة خطأ، في إنجيل المصريّين. إنّهم يؤكّدون أنّ الربّ صرّح بنفسه: "أتيت لأهدم أعمال المرأة". بـ"المرأة" إفهموا الشهوات، وبأعمالها الولادة والموت". ويواصل إكليمنس: "لقد وضع الربّ بالفعل نهاية للشهوة، ولكنّ الوجود والزوال، أي "نظام الحياة، يستمرّان".

جـ- وإذا كان الحديث يتناول نهاية الأزمنة، سألت سالومي، وعن صواب: حتّى متى يموت البشر؟ يقصد الكتاب المقدّس بكلمة "إنسان" معنًى مزدوجًا، الشخص المرئيّ والنفس، وأيضًا المخلّص وغير المخلص. وموت النفس يسمّى خطيئة، لذلك أعطاها الربّ هذا الجواب الثاقب، "طالما الفساد يتحقّق"، أي طالما الشهوة موجودة.

وبعد أن يعتبر آراء "علماء ناموس" أخرى يرد:

د- لماذا لا تسلكون، يا من تدّعون أنّكم تعيشون بموجب الأناجيل القانونيّة، بموجب كلمات سالومي؟ قالت: "أحسنت صنعًا بعدم الإنجاب"، معتقدة أنّ الإنجاب شرّ؛ فأجابها الربّ: "كلي من كلّ عشب، إنّما تحاشي الأعشاب المرّة".

يهمّ إكليمنس أن يوضح أنّ الزواج والإنجاب ليسَا خطيئة، تمامًا مثل الامتناع عنهما. إنّه بذلك يقاوم فهمًا كان خاطئًا (مت ١٩: ٢٠)، فقال له التلاميذ: "إذا كانت حال الرجل مع المرأة هكذا، فلا خير في الزواج".

هـ- إنّهم يؤكّدون أنّ الربّ أراد أن يقول: الخالق بالنسبة إلى الغالبيّة العظمى هو الله، أصل الوجود، وبالنسبة إلى الآخرين، المختارين، هو المخلّص، الابن، أي ابن الله الصالح.

إنّ الكلمة الأخيرة، أيًّا كان الشاهد الكتابيّ الذي يستند عليه الخصوم، فالسياق قريب من نصّ إنجيل المصريّين. إلاّ أنّ هذا الأمر صعب، لأنّ إكليمنس لا يشير بأيّة طريقة إلى انتماء النصّ إلى هذا الإنجيل على ما يبدو أنّه استخدم فقط حوار يسوع مع سالومي في إطار الجدال حول مسألة الجنس. ولكن يجب أن نضمّ مقطعًا آخر على هذا الحوار، يستخدمه إكليمنس في جداله مع يوليوس كاسيانوس والذي يعتبره مؤسّسًا لبدعة الدوسيّة، ويذكر من مؤلّفه" أناسًا خصوا أنفسهم وأناسًا خصاهم الناس".

و- إذا كان هذا الأمر (إلغاء التباين بين الجنسين) من الله، ونحن نصبو إليه، ما كان مدح الخصيان (مت ١٩: ١٢)، وما كان النبيّ أشعيا قد قال: "ولا يقل الخصيّ هاءنذا شجرة جافّة" (أش ٥٦: ٣).

وفيما يكمل محاربًا التعاليم الضالّة يقول: "كيف لا يكون المرء مدينًا حقًّا للمخلّص الذي يجدّدنا ويحرّرنا من الخطأ ومن صحبة الأعضاء الجنسيّة والتناسليّة ومن أعضاء الخزي؟ إنّه يعلّم مثل تاتياثوس، ولكنّه تربّى في مدرسة، لذلك يقول كاسياثوس الآن: عندما سألت سالومي متى تتحقّق الأحداث التي تكلّم عنها، قال الربّ: حين تدوسون بالأقدام ثوب العار، وحين يصبح الاثنان واحدًا، ويتّحد المذكّر بالمؤنّث، ولا يكون بعد رجل ولا امرأة. "أوّلاً ليس هذا النصّ من أيّ الأناجيل الأربعة بل من إنجيل المصريّين، ثمّ إنّه يبدو لي المقصود بالعصفور الذكريّ القصب وبالأنثويّ الشهوة. ويفترض البعض أنّ إنجيل المصريّين قد استعمل في موضع آخر.

ز- قال الربّ أيضًا: "من تزوّج لم يخطىء، ومن لم يتزوج فلا يتزوج".

لا يشير إكليمنس إلى مرجع ما، لأنّه هنا يستخدم نصًّا منحولاً، إنّه يذكر بحرّيّة معنى نصّ ١كو ٧: ٢٧ و٣٢-٣٦.

واضح حتّى الآن أنّ إكليمنس الإسكندريّ يعرف نصّ إنجيل المصريّين، وقد يعتبره ذا سلطة مساويّة لسلطة الأناجيل القانونيّة، ولكنّه يتردّد أحيانًا في شأن سلطته. وإذ أنّه يعلّم أنّ الأنكراتيّين ويوليوس كاسياثوس

يستندون على هذا الاعتبار. ويتّضح أيضًا أنّ ثيودوتس يستخدم هذا الإنجيل.

ح- وعندما يؤكّد المخلّص لسالومي بأنّ الموت يظلّ مسيطرًا طالما الفساد يلوّثه بأنّه يفيد أنّ الإنجاب شرّ، لأنّه أمر ضروريّ لخلاص المؤمنين.

هنا يستخدم ثيودوس المعنى نفسه الذي سبق ورواه في حوار يسوع مع سالومي لدى إكليمنس كما يرد في إنجيل المصريّين لدى بدعة غنوصية قاومها هِيبُوليت في كتابه *Refutation* ("الرفض" أو "الشجب").

ط- إنّهم يواصلون البحث في ماهية النفس ومصدرها وطبيعتها، ولكنّهم لا يبحثون عن ذلك في الكتب بل في التعاليم السرّيّة. ويقول إنّ إدراك النفس تكون فكرة عنها أمر صعب جدًّا، لأنّها لا تظلّ دائمًا في الحال ذاتها ولا في الشكل نفسه، يجد هؤلاء أنّ تغييرات النفس وتنوّعها مذكورة في إنجيل المصريّين.

لا يذكر هِيبُوليت النصّ حرفيًّا بل يشير إشارة عامّة إلى تفسير إنجيل المصريّين الذي يكتفي بها أتباع البدعة المذكورة. لذلك لا تساعدنا إشاراته إلى التعرّف على شكل النصّ أو إضافة مقطع آخر إلى المقاطع المعروفة من هذا الإنجيل. حاول البعض أن يجد مقاطع من معنى هذا الإنجيل من نصوص هِيبُوليت، ولكنّها كانت محاولات فاشلة.

وأخيرًا يشير إبّيفانيوس إلى أنّ السِبلِّيِّينَ استخدموا إنجيل المصريّين.

ك- إنّ مصدر ضلالهم كلّهم وقّوة غيّهم ناتجان من النصوص المنحولة، وبنوع خاصّ ممّا يدعى "إنجيل المصريّين"، كما يسمّيه البعض. إنّهم يجدون فيه هذه الأمور كيف كشف المخلّص في سرّيّة تامّة، عندما ظهر للتلاميذ، أنّه الآب والابن والروح القدس شخص واحد ونفسه.

ويذكر إبّيفانيوس المضمون دون أن يذكر نصًّا، كما أنّه يتناول الأمر بطريقة عامّة جدًّا؛ فمن الجائز أنّه يريد أن يشجب، وأنّ أحد تعاليم السِبلِّيِّين وإنجيل المصريّين معًا بطبيعتهما الهرطوقيّة. ربّما كان استخدام السِبلِّيِّين لهذا الإنجيل أمرًا حاسمًا في هذا الصدد. عمومًا لا نجد أيّة نصوص أخرى نستطيع استنتاج أيّ شيء من معنى إبّيفانيوس هذا.

ثالثًا: إنجيل المصريّين في نصوص أخرى

يرد جزء من ردّ يسوع على سالومي في رسالة إكليمنس الثانية. إنّه جزء فقط من الردّ، ولكن في صياغة وإطار جديدين.

دعونا الآن نتنظر ملكوت الله بإيمان وبرّ، لأنّنا لا نعرف يوم ظهور الله، لأنّ أحدهم سأل الربّ ذاته: "متى يأتي الملكوت؟"، فأجاب: عندما يصبح الاثنان واحدًا، كما يصبح الداخل مثل الخارج، والرجل مثل المرأة، عندما لا يكون هناك بعد (فرق بين) رجل وامرأة (٢ إكليمنس ١٢: ١-٢).

لا جدال في أنّ قول يسوع هنا مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما سبق وذكرناه في النقطة (و). كما أنّ احتمال ذكر هذا النصّ في إنجيل المصريّين احتمال قويّ. ولكن توجد في منحولات أخرى أقوال مشابهة.

قال لهم يسوع: "عندما تصبح أثقالكم واحدًا، عندما يصبح داخلكم مثل خارجكم، والعلو مثل العمق، عندما تصنعون من الرجل والمرأة شيئًا واحدًا، بحيث لا يظلّ بعد الرجل رجلاً أو المرأة امرأة، عندما تصبح عيناكم عينًا واحدة، ويداكم يدًا واحدة، ورجلاكم رجلاً واحدة، عندئذ يحلّ الملكوت" (إنجيل توما القبطيّ، قول ٢٢).

قال يسوع: "عندما تنحلّون من خجلكم، وعندما تنزعون ثيابكم وتضعونها أمام أقدامكم، وتصبحون مثل الأطفال الصغار، فتطأونها (الثياب) بأقدامكم، عندئذ ترون ابن الحيّ، ولن تخافوا" (إنجيل توما القبطيّ، قول ٣٧).

عند ذلك يقول الربّ سرًّا: "عندما لا تكون يمينكم مثل شمالكم، وشمالكم مثل يمينكم، والعلو مثل العمق، والخلف مثل الأمام، فإنّكم لن تعرفوا الملكوت" (أعمال بطرس ٣٨).

ثمّ قال الربّ: "إن لم يصبح أسفلكم مثل أعلاكم، ويمينكم مثل يساركم، فإنّكم لن تدخلوا ملكوتي" (أعمال فيلبّس ١٤٠).

إنّه من السهل التعرّف على العلاقة بين هذه النصوص وإنجيل المصريّين. لا يستطيع أحد أن يستبعد وجود هناك علاقة بينهما. ولكنّ الاختلافات تظهر أنّ إنجيل المصريّين لم يكن مصدر هذه النصوص المكتوبة. ما يمكن قوله هو أنّ الحكمة، كما يظهر تنوّعها، كانت قولاً شائعًا معروفًا ومنتشرًا أو أنّها أصبحت كذلك.

لا نستطيع من المصادر التي بين أيدينا أن نحكم إذا ما كان حوار يسوع مع سالومي كان في الأصل جزءًا من إنجيل المصريّين، أو مجموعة أقوال جمعت معًا، أو جزءًا من تقليد شفهي شائع.

إنّ القول الوارد في ٢ إكليمنس ١٢: ٢، وهو على الأرجح استشهاد مباشر من إنجيل المصريّين، أو أقلّه على علاقة وثيقة بالتقليد المنقول، دفع عددًا كبيرًا من البحّاثة، وعن غير حقّ، إلى اعتبار كلمات يسوع كلّها في رسالة إكليمنس الثانية مأخوذة من إنجيل المصريّين. لقد استخدم شنيكينوبورجر (M. Schneckenburger)، عام ١٨٣٤، هذا الموضع لدعم نظريته الخاطئة التي تقارب بين إنجيل المصريّين وبين الأبيونيّين، وبالتحديد إنجيل العبرانيّين. ولكن بعد دراسة هـ. كوستر (Köster) يتّضح أنّه من المستحيل إثبات أيّة علاقة بين إنجيل المصريّين وما يرد في رسالة إكليمنس الثانية، باستثناء ٢ إكليمنس ٢: ١٢.

تحمل دراسة هـ. كوستر (Köster) عنوانًا: "إزائيّة التقاليد". أمّا المواضع التي درسها فهي ٢ إكليمنس ٢: ٤، ٣: ٢، ٤: ٢، ٤: ٥، ٥: ٢–٤، ٦: ٢، ٨: ٥، ٩: ١١، ١١: ٢–٤، ١١: ٧، ١٢: ١–٢، ١٣: ٤. يرجع هـ. كوستر معظم هذه الأقوال إلى التقليد وامتداده. قد يكون رأي كوستر في حاجة إلى تعديل، ولكن ليس هذا مجالنا الآن.

وجرت محاولات عديدة لتوضيح بعض النصوص وتصحيحها إنطلاقًا من المعلومات التي زوّدتنا بها رسالة إكليمنس الثانية. ولكنّ هذه المحاولات اتّخذت طرقًا خاطئة؛ فقد اعتقد ث. تْسان ((Th. Zahn أنّ هناك علاقة بين إنجيل المصريّين وإنجيل بطرس. وعليه فإنّ كاسياثوس لم يستخدم إنجيل المصريّين، بل نصًّا آخر هو إنجيل بطرس، والعلاقة بين الإنجيلين وثيقة جدًّا. ساد في هذا الاتجاه نفسه د. فولتر (D. Völter)، الذي اعتبر أمرًا مسلَّمًا به ما افترضه تْسان، مع أنّه لم يبرهن صحّته، أي العلاقة الوثيقة بين إنجيل المصريّين وإنجيل بطرس. ولكنّ هذه النظريّة لم تجد أيّ صدًى، لأنّ الأجزاء المتبقّية من الإنجيلين لا تسمح بإثبات هذه النظريّة.

إنّ تبعيّة الأقوال الواردة في برديّات أوكسفورد أو ٦٥٥ لإنجيل المصريّين، فقدت كلّ أهمّيّة بعد اكتشاف إنجيل توما القبطيّ وإنجيل المصريّين، ولكن لم يستطع أحد إثبات أيّ من هذه الأراء. كما أنّ النظريّة التي تعتبر أنّ إنجيل المصريّين استخدم إنجيل العبرانيّين كمصدر له، وبذلك نشره يظلّ بحاجة إلى إثبات وبرهنة.

إعتبر أ. هينيكيّ (E. Hennecke) كلمات الربّ، والمعروفة باسم رسالة قبطيّ مأخوذة من إنجيل المصريّين. ولكنّ هذا الرأي يظلّ نظريّة أدّلة أو إثباتات.

وجدير بالذكر أنّ أ. ياكوبى (A. Jacoby)، في طبعته لمخطوط ستراسبورج القبطيّ، أراد إثبات تبعيّة تقرير من عماد يسوع لإنجيل المصريّين، وهو رأي أثبت س. شميدت (C. Schmidt). بطلانه. المخطوط الذي نشره ياكوبي بعنوان منحول حتّى الآن مجهول عن عماد يسوع وإسهامه في تاريخ تعليم الإثنى عشر؛

وكان أ. باومشترك (A. Baumastark) قد دافع عن علاقته بإنجيل المصريّين. لا يمكن إثبات هذا الرأي إلاّ في حال امتلاكنا معلومات كثيرة عن إنجيل المصريّين. يؤكّد باومشترك امتلاك هذه المعلومات، في حين أنّ الواقع يثبت غير ذلك. ولذلك نقول إنّه من المستحيل قبول هذه النظريّة الخياليّة.

خاتمة

خلاصة الأمر، باستثناء مقاطع رسالة إكليمنس الثانية، لا يمكن التأكيد أنّ الاستشهادات الأخرى المزعومة ترجع إلى نصّ إنجيل المصريّين.

مراجع

Clement of Alexandria, *The Stromata*.

Hennecke E., *Neutestamentllische Apokryphen*,

Hornschuh M., *Erwägungen Zum "Evangelium Der Ägypter", Insbesondere Zur Bedeutung Seines Titels*, Vigiliae Christianae, Volume 17, Issue 1, 1963, p. 6-13.

Hyppolite, *Refutation*.

Köster H., *Ancient Christian Gospels*. Harrisburg: Trinity Press International, 1990.

Zahn Th., "Evangelium des Petrus", *NKZ* 4 (1893) 143-218.

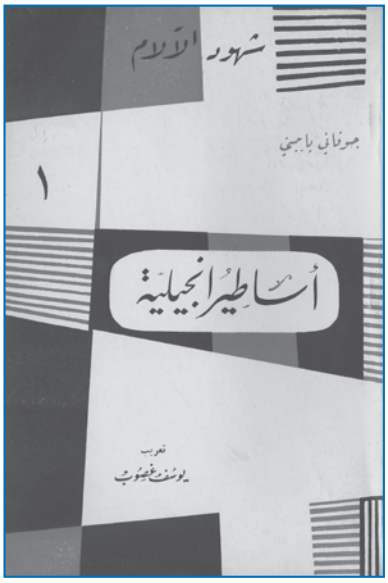

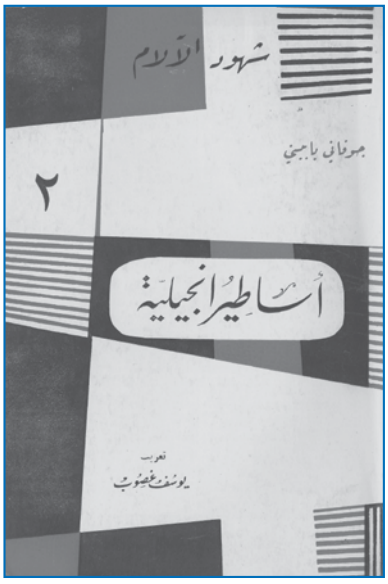

إنجيل الإبيونيّين
أو إنجيل الرسل الإثني عشر

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

ينتمي إنجيل الإبيونيّين إلى مجموعة أناجيل اليهو–مسيحيّة التالية: **إنجيل العبرانيّين وإنجيل الناصريّين وإنجيل الإبيونيّين** أو **إنجيل الرسل الاثني عشر**[1]، و**إنجيل المصريّين**، و**إنجيل بطرس**. لم يبقَ لنا من هذه الأناجيل سوى بضعة أجزاء ومقاطع إن لم نَقُلْ نُتَفًا، ولو بقيت لعَلِمنا الكثير عن تاريخ المسيحيّة الأولى وعن مراحل تكوين النصّ الانجيليّ؛ فلقد اختفت مجموعة الأناجيل هذه منذ أمد بعيد، ويبدو أنّ وجودها قد اضمحلّ بعد بداية القرن الخامس تقريبًا، باستثناء بعض المقتطفات الباقية هنا وهناك، إلى حدّ أنّ كلّ هذه الأناجيل، إذا ما جُمِعَت، لا تشكّل سوى ما مجموعه ٦٠ سطرًا[2]، وقد يكون السببُ اختفاءَ الجماعات اليهو–مسيحيّة، الأمر الذي أدّى بذات الفعل إلى اختفاء نصوصهم.

نُظِرَ إلى إنجيل الإبيونيّين على أنّه قريب من الأناجيل الإزائيّة، لكن مع ميول باتّجاه شجب أكل اللحم وشرب الخمر. لم يُنظَر إليه على أنّه تكييف حرّ للإنجيل بحسب متّى، بل على أنّه مؤلَّفٌ أصليّ، انطلق من الأناجيل الإزائيّة بمجملها، وقد يكون أيضًا من الإنجيل بحسب يوحنّا. هو الإنجيل الذي وجده إبّيفانيوس بين أيدي الهراطقة الذين أطلق عليهم اسم "الإبيونيّين". هناك انعكاسٌ لأفكار هؤلاء خاصّة في الأدب الكليمنتينيّ المزيّف؛ ففي الأدب الإبيونيّ، وبالإضافة إلى إنجيل الإبيونيّ، هناك أيضًا المجموعة الكليمنتيّة المزيّفة، أو حلقة إكليمنضوس[3].

كُتِب إنجيل الإبيونيّين في النصف الأوّل من القرن الثاني، في الزمان الذي فيه كتب **إنجيل المصريّين**، واستعملته الجماعات المسيحيّة المنشقّة في شرقيّ الأردن. يروي خبر عماد يسوع واختياره للاثني عشر، انطلاقًا من نصوص الإزائيّين الثلاثة متّى ومرقس ولوقا. هو ينكر ولادة يسوع البتوليّة، ويعتبر أنّ يسوع صار ابنَ اللّه لمّا قَبِلَ العماد، ويُعرِض عن الذبائح وشعائر العبادة، ويجعل من يوحنّا المعمدان إنسانًا نباتيًّا لا

(1) H. Waitz, "Das Evangelium der zwölf Apostel (Ebioniten-Evangelium)", *Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft* 13 (1912) 338-348; 14 (1913) 38-64, 117-132; "Neue Untersuchungen über die sogenannten judenchristlichen Evangelien", *Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft* 36 (1937) 60-81.

(2) Cf. Simon-Claude Mimouni, *Le judéo-christianisme ancien, essais historiques*, coll. Patrimoines, Cerf 1998, p. 208 ; C.-B. Amphoux, « L'Évangile selon les Hébreux source de l'Évangile de Luc », *Apocrypha* 6 (1995) 67-77.

(3) H. Waitz, *Die Pseudo-Klementinen* (*TU*, *NF*, 10, 4), Leipzig, 1904.

يأكل إلاّ البقول، ويتردّد في جعل يسوع يأكل خروف الفصح وصولاً إلى رفض ذلك. ونلاحظ لدى قراءة هذا الانجيل ميلاً إلى الهرطقة وتأثيرًا غنوصيًّا في التعليم عن المسيح.

١ – مَن هم الإبيونيّون؟

يشتقّ اسم الإبيونيّين من قول المسيح: "طوبى للفقراء"، وبلغتهم العبرانيّة: "طوبى للإبيونيّين". تُطلَق التسمية "إبيونيّون"، أي "المساكين"، على حركة هامشيّة قام بها مسيحيّون من أصل يهوديّ في فلسطين، وبلاد العرب، وسوريا، بين القرنَين الثاني والخامس[٤]. التحقوا بالمسيح ورأوا فيه نبيًّا عظيمًا من الأنبياء، انتشروا في فلسطين وسوريا والجزيرة العربيّة ومصر، واستقرّوا في عبر الأردنّ[٥]، حيث كان مركزهم في "بِلاّ" (خربة فحل). أنكروا ألوهيّة يسوع، وميلاده البتوليّ، ويقولون إنّه أصبح مسيحًا يوم عماده، وأنّ بنوّته الإلهيّة ترقى إلى ذاك الحين، أو بالحريّ أنّ المسيح المبدأ الأزليّ دخل يسوع يوم عماده وفارقه يوم استشهاده، إلى جانب ما يعتقدون في صَلْبِ الربّ وموته، وتقوم رسالته على التعليم والتبشير دون الفداء والخلاص. أضف إلى ذلك أنّهم يرفضون تعليم القدّيس بولس الرسول[٦].

تتركّز فروض الإبيونيّين على الاغتسال الدائم بالماء للوضوء والتطهير، وعلى تحريم الذبائح؛ ويشدّدون على أعمال البرّ، والاهتمام باليتامى، والعناية بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل، ويوصون بإعالة المحتاجين، وإطعام الجياع، وإقراء الضيوف والغرباء[٧].

لم تشكّل الحركات الإبيونيّة أبدًا كنيسةً مركزيّةً ذات هرميّة، بل بالأحرى جماعات متفرّقة ومستقلّة كانت أكثر تعلّقًا بالطقوس منه بالعقائد. لم يبقَ إلاّ القليل القليل من المصادر المتعلّق بالإبيونيّة؛ فباستثناء بعض مقاطع من إنجيل الإبيونيّين، هناك ما يسمَّى بـ"الأدب الكليمنتينيّ المزيّف" أو "المجموعة الكليمنتيّة المزيّفة" التي لا اتّفاق بين الباحثين حول نسبتها إلى هذا الفريق المسيحيّ المحدَّد أو ذاك. ذكرهم إيريناوس في كتابه **ضدّ البدع**[٨]، وأوريجانوس في كتابه **ضدّ تشلسوس**[٩]، وإبّيفانيوس في **الشامل في الهرطقات**[١٠].

من المحتمل أن يكون معظم رهبان قمران قد دخلوا في شيعة الإبيونيّين بعد خراب هيكل أورشليم سنة ٧٠ ب. م.، وهاجروا إلى بلاد الحجاز، وانتمى إليهم بعض القبائل العربيّة[١١].

٢ – إنجيل الإبيونيّين[١٢]

إنجيل الإبيونيّين هو إنجيل يهو–مسيحيّ مختلف عن

(٤) من أجل التعرّف على "الإبيونيّة" وعلى "الإبيونيّين"، تحسن العودة إلى المقالات العديدة والتي تضاعفت بشكل ملفت، وهذا بعض منها:
G. Bareille, « Ébionites », *DTC* 4/2 (1911), col. 1987-1995; H. Leclercq, « Ébionisme », *DACL* 4/2 (1921), col. 1703-1709; G. Bardy, « Ébionisme et Ébionites », *Catholicisme* 3 (1952), col. 1230-1233; F. Fitzmyer, « Ébionites », *DS* 4 (1960), col. 32-40; H. J. SchoepS, « Ébionites », *DHGE* 14 (1960), col 1314-1319.

(5) Épiphane, *Boîte à remèdes*, XXX.

(6) J. Daniélou, *Théologie du judéo-christianisme*, Desclée 1958, p. 76.

(٧) رج جورج سابا، **على عتبة الكتاب المقدّس**، منشورات المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٨٧، ص ٢٣٩–٢٥٣.

(8) Irénée, *Contre les Hérésies*, I, 26, 12.

(9) Origène, *Contre Celse*, II, 1.

(10) Épiphane de Salamine, *Panarion*, XXIX-XXX.

(١١) رج أبو موسى الحريري، **قسّ ونبي: بحث في نشأة الإسلام** (١٩٧٩)، ص ٢٠ و٢٣.

(12) Cf. M.-É. Boismard, « Évangile des Ébionites et problèmes synoptiques (Mc 1, 2-6 et par.) », *RB* 73 (1966) 321-352.

إنجيل العبرانيّين أو **إنجيل الناصريّين**، والمقاطع الوحيدة الباقية منه هي تلك التي يستشهد بها إبّيفانيوس في مؤلّفه المشهور، **الشامل في الهرطقات**[١٣].

قبل تَفَحُّص الأجزاء الباقية من **إنجيل الإبيونيّين** بالتفصيل، من الضروريّ الأخذ بعين الاعتبار المعضلات التي يطرحها عنوانه، ولغته، وتأريخُه ومكان تحريره.

أ – عنوان إنجيل الإبيونيّين

عنوان إنجيل الإبيونيّين الذي يستعمله الإبيونيّون ليس مؤكَّدًا جدًّا، كون العنوان الذي يطلقه عليه النقّاد هو مستَحدَث. يؤكّد القدّيس **إيريناوس** أنّ الإبيونيّين يعترفون بالإنجيل بحسب متّى[١٤]. ويشير **أوسابيوس** إليه تحت اسم **الإنجيل بحسب العبرانيّين**، مضيفًا أنّ الأمر يتعلّق بتكييف الأصل العبريّ للإنجيل بحسب متّى[١٥].

أمّا **إبّيفانيوس** فيوضح أنّ الإبيونيّين يستعملون الإنجيل بحسب متّى، استنادًا إلى نسخة "مشوّهة ومبتورة"، يسمّونها **بحسب العبرانيّين**[١٦].

ويُدعَى **إنجيل الإبيونيّين** أيضًا **الإنجيل بحسب الرسل الاثني عشر**، خاصّة بسبب العنوان الخالي من نصّ، والذي يورده أوريجانوس[١٧]. في الاتجاه ذاته، يجب أيضًا ذكر ملاحظة إيرونيموس في ما يتعلّق بـ **الإنجيل بحسب الرسل**، الذي، استنادًا إليه، ينبغي تحديده مع الإنجيل بحسب متّى[١٨].

تشير الإفادات بالإجماع إلى وجود علاقة بين **الإنجيل بحسب متّى** وبين **إنجيل الإبيونيّين**؛ الاسم المعطى له داخل التفاسير الإبيونيّة ينبغي أن يكون **الإنجيل بحسب الرسل الاثني عشر**، أو **الإنجيل بحسب الرسل**، وفي الخارج **الإنجيل بحسب العبرانيّين**.

يبدو أنّ **إنجيل الإبيونيّين** قد حُرِّر في اليونانيّة، وليس في الآراميّة أو العبريّة، وهذا رأي معظم النقّاد. تستند حجّةُ افتراضٍ كهذا إلى لعب على الكلام فقط في اليونانيّة، غيرِ ممكن في الآراميّة أو العبريّة، نصادفه في الجزء ٢، بين كلمتَي egkrij، "حلوى"، وakridej، "جراد" (رج مت ٣: ٤؛ مر ١: ٦). بالرغم من ذلك، وفي إطار ما نعرف عن الإبيونيّين أيضًا، فإنّه من الممكن الاعتقاد أنّ اللغة الأصليّة لهذا النصّ قد كانت إمّا الآراميّة وإمّا العبريّة.

ب – تأريخ إنجيل الإبيونيّين

يتّفق النقّاد عادةً على تأريخ **إنجيل الإبيونيّين** في النصف الأوّل من القرن الثاني. يرتكز هذا التأريخ على أمرَين: من جهة أولى، يستشهد المؤلّف الإبيونيّ بمتّى ومرقس ولوقا، ممّا يعني تأليفًا متأخّرًا عن العام ١٠٠؛ من ناحية ثانية، هو يجهل يوحنّا، الأمر الذي يفرض عدم الذهاب أبعد من العام ١٥٠. لا يأخذ تأريخٌ من هذا النوع سوى مسألة الإزائيّين، خاصّةً الإنجيل بحسب متّى في اليونانيّة.

في **الحوار مع تريفون**، الذي وضعه يوستينوس النابلسيّ، في الفصل ٨٨ منه[١٩]، هناك تقليد يتعلّق بمعموديّة يسوع و"النار التي التهبت في الأردنّ"، يبدو أنّه يعتمد على المصدر ذاته الذي لـ **إنجيل الإبيونيّين**.

(13) Épiphane de Salamine, *Panarion*.

(14) Irénée de Lyon, *Contre les hérésies* III, 11, 7.

(15) Eusèbe de Césarée, *Histoire ecclésiastique* III, 27, 4.

(16) Épiphane de Salamine, *Panarion* 30, 13, 2.

(17) Origène, *Homélies sur Luc* I, 1.

(18) Jérôme, *Contre les Pélagiens* 3, 2.

(١٩) يوستينوس، "الروح في عماد يسوع"، في: **الدفاع عن المسيحيّين**، **والحوار مع تريفون**، سلسلة أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص الليتورجيّة، الرقم ٧، جامعة الروح القدس، الكسليك، ٢٠٠٧، ص ٢٦٨–٢٨٨.

من الممكن أيضًا أن يرقى هذا الاعتماد مباشرةً إلى **إنجيل الإبيونيّين**. في هذه الحالة، قد يشكّل الفصل ٨٨ من **الحوار مع تريفون** ليوستينوس الحدَّ الأخير لـ**إنجيل الإبيونيّين**، حدًّا يُعتَقَد أنّه حوالى العام ١٣٥.

هكذا، إذا ما قبلنا المعطيات التي أَبرزَها يوستينوس، ثمّ تلك التي يتكلّم عليها الباحث HENNE[٢٠]، يمكن تأريخ **إنجيل الإبيونيّين**، وبشيء من التأكيد، ما بين العامين ١٠٠ و١٣٥ تقريبًا.

ج – مكان تحرير إنجيل الإبيونيّين

إذا ما استندنا إلى الأجزاء الباقية من **إنجيل الإبيونيّين** فقط، سيكون من الصعب تحديد مكان تحرير هذا الإنجيل. إلاّ أنّه بالإمكان الافتراض أنّ هذا الإنجيل صادر عن جماعات إبيونيّة كانت تعيش في سوريا، بالأخصّ بسبب التشابهات العديدة التي يتضمّنها مع الإنجيل بحسب متّى، الذي أبصر النور أيضًا، وعلى الأرجح، في المنطقة عينها. من ناحية ثانية، لقد استعملته بالتأكيد الجماعات الإبيونيّة في فلسطين وفي العربيّة.

د – الأجزاء الباقية من إنجيل الإبيونيّين

نقل لنا إبّيفانيوس أجزاءً سبعة من **إنجيل الإبيونيّين**، نشرها الباحث الألمانيّ هُلّ[٢١]، ونُقِلَت إلى الفرنسيّة[٢٢] والإيطاليّة[٢٣] والإنجليزيّة[٢٤] والألمانيّة[٢٥]. ترتيب هذه الأجزاء هو كما وردت لدى إبّيفانيوس؛ الجُزءان ٣ و٧ هما مُدرجان مرّة ثانية لدى هذا الأخير في ملاحظته الواردة في مؤلَّفه، **علبة العلاجات**[٢٦].

ينبغي القبول بفرضيّة أنّ التأثيرات الأدبيّة التي نصادفها في **إنجيل الإبيونيّين** مصدرها هو الأناجيل الإزائيّة. مع هذا، لا شيء يحول دون أن يستطيع **إنجيل الإبيونيّين** أن يجد إلهامه، تمامًا كما الأناجيل الإزائيّة، في مصدر آخر قد يكون سابقًا للجميع ومشتَرَكًا مع الجميع.

٣ – آباء الكنيسة، خاصّة إبّيفانيوس، وإنجيل الإبيونيّين[٢٧]

إنجيل الإبيونيّين، يؤكّد على وجوده إبّيفانيوس خصوصًا، ويقدّمه كما يلي: "في الإنجيل الذي قبلوه،

(20) P. HENNE, « L'Évangile des Ébionites. Une fausse harmonie. Une vraie supercherie », dans : A. KESSLER – T. RICKLIN – G. WURST (éds.), *Peregrina curiositas. Eine Reise durch den Orbis antiquus. Zu Ehren von Dirk van Damme*, Göttingen 1994, p. 57-75.

(21) K. HOLL, *Epiphanius*, t. I. *Ancoratus und Panarion* (*haer. 1-33*), Leipzig 1915 (GCS 25), p. 349-351.

(٢٢) يعود الفضل الرئيسيّ في نقل الأجزاء الباقية من إنجيل الإبيونيّين إلى الفرنسيّة إلى د. أ. بِرْتْران:

D. A. BERTRAND, « L'Évangile des Ébionites : une harmonie évangélique antérieure au Diatessaron », *NTS* 26 (1980) 548-563, ici 552-558.

Voir aussi : François BOVON - Pierre GEOLTRAIN, *Écrits apocryphes chrétiens*, Bibliothèque de la Pléiade, Gallimard, Paris 1997, p. 447-453.

(23) Mario ERBETTA, *Gli Apocrifi del Nuovo Testamento*, I/1. *Vangeli*, Marietti 1975, p. 132-136.

(24) P. VIELHAUER – G. STRECKER, « Jewish-Christian Gospels », dans W. SCHNEEMELCHER, *New Testament Apocrypha*, t. I, Louisville/Kentucky, 1991, p. 166-171.

(25) P. VIELHAUER – G. STRECKER, « Judenchristliche Evangelien », dans W. SCHNEEMELCHER, *New Testament Apocrypha*, t. I, Tübingen, 1987, p. 138-142; HOWARD G., « The Gospel of the Ebionites », *Aufstieg und Niedergang der römichen Welt*, 2, 25, 5, Berlin u. New York, 1988, p. 4034-4053.

(26) ÉPIPHANE, *Boîte à remèdes*, respectivement en XXX 14, 3; XXX 22, 5.

(27) Daniel BERTRAND, "Il vangelo degli Ebioniti", in Mario ERBETTA, *Gli Apocrifi del Nuovo Testamento*, I/1. *Vangeli*, Marietti 1975, p. 132-136; Camille FOCANT, *Les évangiles apocryphes*, coll. Horizons de la foi, 58, Connaître la Bible, Bruxelles 1994, p. 10.

بحسب متّى كما يُقال، ولكنّه في الحقيقة ناقص جدًّا، ومشوَّه، ومبتور، يسمّونه الإنجيل العبرانيّ"، وهو على الأرجح **إنجيل الرسل الاثني عشر** نفسه، ومن المحاولات الأولى لضبط تعدُّد الأناجيل وتنوُّعها قبل انتهائها رسميًّا إلى أربعة. إنّه نصّ يونانيّ من النصف الأوّل من القرن الثاني. يحقّره إيرونيموس وأوريجانوس، إذ يعتبر أنّه هرطقة ليس إلاّ. نشأ النصّ في الشيعة الإبيونيّة، التي تضمّ غنوصيّين متهوِّدين، يستمدّون اسمَهم من كلمة عبريّة تعني "فقراء". كان هؤلاء يريدون فرض نير الشريعة على الوثنيّين بسلوكهم التقشّفيّ، وينكرون ألوهيّة يسوع. وقد عارضوا الذبائح، وجعلوا يوحنّا كما المسيح يجاهران بالنظام الغذائيّ النباتيّ. النصّ قريب من **إنجيل العبرانيّين**، ويستند مثله إلى متّى وحده"[٢٨].

إنجيل الإبيونيّين، أو **إنجيل الرسل الاثني عشر**، أخذه مسيحيّو فلسطين المنشقّون عن الأناجيل الأربعة، بعد أن حرّفوا نصوص هذه الأخيرة، فأنكروا لاهوت المسيح، ولم يذكروا الحبل البتوليّ. يدلي إيّفانيوسُ بشهادته حول إنجيلٍ يهو–مسيحيّ، كانت شيعةُ الإبيونيّين اليهو–مسيحيّة تستخدمه، وكان ينبغي أن يكون اقتطاعًا من الإنجيل بحسب متّى؛ هو يحمل زورًا العنوان التالي: **إنجيل العبرانيّين والإنجيل العبريّ**. العنوان الذي حمله في الواقع هو غير معروف. في بقيّة الأدب الهرطوقيّ لا نجد شهادة عليه ولا اقتباسًا منه. لدينا معلومات عنه بفضل إخبار إيّفانيوس عنه واستشهاده به[٢٩].

يَذْكُر أوريجانوس (**عظة حول لو ١: ١**) وإيرونيموس (**مقدّمة لتفسير متّى وضدّ بّلاجيوس ٣: ٢**) "إنجيلاً بحسب الاثني عشر" (twn dwdeka euaggelion) أو "إنجيلاً بحسب الرسل"، يعتبره الناصريّون إنجيلَ العبرانيّين المقروء آراميًّا. يبدو أنّ بعض المقتطفات التي يوردها إيّفانيوس من إنجيل الإبيونيّين تدلّ على أنّ هذا الأخير قد تمّ وضعه باسم الرسل، الأمر الذي أدّى إلى التقريب بين **إنجيل الإبيونيّين** وبين **إن جيل الاثني عشر** إلى حدّ اعتبارهما إنجيلاً واحدًا.

يشهد إيّفانيوس، الكاتب الذي حفظ لنا بعض المستلاّت من إنجيل الإبيونيّين، حوالى سنة ٣٧٥، بعد تقرير وجيز حول إبيون، مؤسّس هذه الشيعة الوهميّ وحول كريستولوجيّته، بما يلي:

"هم أيضًا يقبلون **الإنجيل بحسب متّى**؛ كما أنّهم، وكأتباع قِرِنْثُو ومِرِنْثُو (Cerinto et Merinto)، يستعملونه، مستبعِدين الأناجيل الأخرى. في الحقيقة، هم يدعونه (**الإنجيل**) **بحسب العبرانيّين**، لأنّ متّى فقط، من بين كتبة العهد الجديد، استخدم اللغة والأحرف العبريّة من أجل عرض الإنجيل والتبشير به"[٣٠].

لاحقًا، يفيد إيّفانيوس بأنّ الإنجيل ذاته يحمل اسم "العبريّ"، فيقول:

"في الإنجيل الذي يجري استعماله عندهم، والذي يُدعَى **الإنجيل بحسب متّى**، وهو غير تامّ ولا كامل، بل مزيَّفٌ ومشوَّه–يدعونه (**الإنجيل**) **العبريّ**–، يُخبَرُ..."[٣١].

لم يعد عنوان هذا النصّ بالتالي **الإنجيل بحسب العبرانيّين**، بل **الإنجيل العبريّ**! بالرغم من أنّ الكلام يجري بالتأكيد حول الوحدة ذاتِها، علينا أن نستنتج فورًا بأنّه هكذا لم يُعطَ لنا أن نعرف مِنْ إيّفانيوس ولا حتّى الاسم حصرًا، ومع هذا فإنّ صحّة عنوان من هذا النوع هي مقبولة. من ناحية ثانية، هي المرّة الأولى التي فيها يوضع متّى

(٢٨) رج **الأناجيل المنحولة**، ترجمة إسكندر شديد، دير سيّدة النصر، نسيبه، غوسطا، لبنان ١٩٩٩، ص ٢٣٣–٢٣٤.

(29) Cf. Wilhelm Schneemelcher, *Neutestamentliche Apokryphen*, 5.Auflage. I, Band, *Evangelien*, Tübingen 1987, p. 138-142.

(30) Épiphane, *Panarion*, XXX 3, 7.

(31) *Panarion*, XXX 13, 2.

في علاقة مع **الإنجيل بحسب العبرانيّين**. يُضاف من ثَمَّ أنّ إبّيفانيوس يذكر هذا العنوان أيضًا ليتكلّم على التنسيق الإنجيليّ الذي قام به طَطْيانوس ورفضته الكنيسة، عنيتُ به **الدياتِسَّرون**[٣٢]. هناك اشتباه بالتالي في كيفيّة تسمية الإبيونيّين لإنجيلهم.

تبدو العلاقة بين الاستعمال الجاري بتسميته **الإنجيل بحسب العبرانيّين**، أو **الإنجيل العبريّ**، وبين مؤلَّفِه المفترَض، شرحًا تعليليًّا خاصًّا بإبّيفانيوس أو بالذي جعله يعتقد ذلك، لكنّ ذلك غير موفَّق، إذ يجري التعاطي مع نصٍّ حُرِّرَ أساسًا في اليونانيّة، وليس في العبريّة ولا في الآراميّة. ما هو معقول أكثر هو أنّ العنوان الذي يشير إلى متّى قد يخصّ الإنجيلَ المستَعمَلَ لدى الناصريّين، والذي يتكلّم عليه إبّيفانيوس قبل الإبيونيّين. كان إنجيلُهم لا يزالُ يُقرَأُ في لغتهم في زمن إبّيفانيوس، ومن المحتمل أن يكون قد تضمّن **إنجيلَ متّى** بكامله، بينما في حالة الإبيونيّين نحن أمام نصّ مبتور من الفصلَين الأوّلَين[٣٣]؛ الباقي، في ما يتعلّق أقلّه بما يمكن استنتاجه، هو في الأساس تجميعٌ إزائيّ[٣٤].

في كلّ حال، يمكن اعتبار التفسير الذي يعطيه إبّيفانيوس محاولةً للتنسيق بين شهادتَين مختلفتَين؛ فقبل قرنين تقريبًا من ذلك (١٨٠–١٨٥)، كان **إيريناوس** قد كتب ما يلي: "يستعمل الإبيونيّون **الإنجيل بحسب متّى** فقط، ويرفضون بولس الرسول، ويدعونه جاحد الشريعة"[٣٥]؛ "الإبيونيّون، الذين يستعملون هذا الإنجيل فقط، أي **الإنجيل بحسب متّى**، هم أناس لا يفكّرون بطريقة سليمة في ما يتعلّق بالربّ"[٣٦].

بالمقابل، يعرف **أوسابيوس**، حوالى سنة ٣٠٠، مدرسةً خاصّةً، وعلى خلاف الإبيونيّين، كانت تقبل بولادة يسوع مع بقاء مريم عذراء، لكنّها كانت تعترض على وجود سابق ليسوع. النصّ المقدّس، لدى المدرسة عينها، كان "ما يُسَمَّى **الإنجيل بحسب العبرانيّين**؛ أمّا (النصوص) الباقية فلم يكونوا يعيرونها أهمّيّة"[٣٧].

تُبَيِّنُ طريقةُ تعبير **إيريناوس** بما فيه الكفاية أنّه لم يكن يعرف النصَّ الإبيونيّ، المختلف جدًّا عن نصّ متّى القانونيّ، إلى حدّ القدرة على دحضهم. بَيْدَ أنّه يبدو لاحقًا أنّه يملأ الفجوة تمامًا، مذكِّرًا بأنّ الهراطقة الذي هو بصددهم كانوا قد ألغوا عقيدة ولادة يسوع من عذراء[٣٨]. إنّ ما كتبه إيريناوس ما هو إلاّ شهادة غير مباشرة على ما كان قد فهمه. ولدى مقارنتنا ما كتبه أوسابيوس مع **الإنجيل بحسب العبرانيّين**، نجد أنّ جزءَين أو أكثر من هذا الإنجيل يبدوان وكأنّهما يفترضان وجودًا سابقًا ليسوع.

يستنتج فِيلْهَور (Vielhauer) من ذلك أنّ الفريق الإبيونيّ لم يكن يعترض على الوجود السابق ليسوع، أو أنّه لم يكن قد قرأ **الإنجيل بحسب العبرانيّين**[٣٩]! دون الحاجة إلى اللجوء إلى مراجعة خاصّة للإنجيل، فلنلاحظ أنّ مقاطع **إنجيل العبرانيّين**: إيرونيموس، **في أشعيا** ١١، ٢؛ أوريجانوس، **في يوحنّا** ٢، ١٢، وآخَر من كيريلُّس

(32) *Panarion*, XLV 1.

(33) *Panarion*, XXX 14, 3.

(34) M.-É. Boismard, « Évangile des Ébionites et problèmes synoptiques (Mc 1, 2-6 et par.) », *RB* 73 (1966) 3210352.

(35) Ireneo, *Adversus haeresis*, I 26, 2.

(36) *Adversus haeresis*, III 11, 7.

(37) Eusèbe, *Histoire ecclésiastique*, III 27, 1-4; cf. Jérôme, *In Matth.* 12, 13 = *PL* 26, 80 A.

(38) *Histoire ecclésiastique*, III 21, 1; V 1, 3.

(39) Vielhauer, *Neutestamentliche Apokryphen*, 4e ed. 1968, I 78.

المزيَّف، لا تستعمل الاسم "يسوع" إطلاقًا، بل تدعوه "الربّ"، "المخلّص" و"المسيح". التمييز بين "يسوع" و"المسيح" هو شبيهٌ بما نجده في المحيط الغنوصيّ. لكن، مهما كان الشرح، ليس مؤلَّف أوسابيوس هو الذي يتكلّم عليه إيريناوس، والذي يستعمله الإبيونيّون الآخَرون، وأيضًا أوسابيوس في ما يتعلّق بسِمّاكوس، العالِم الإبيونيّ[٤٠] وناقلُ العهد القديم، الذي كان يجد أساسًا لعقيدته في إنجيل متّى[٤١]. لم يتنبّه إپيفانيوس إلى الفرق؛ لكن، وبصرف النظر عن مسألة العنوان، الكاتب هو على عِلْم أكثر من السابقَين في ما يتعلّق بالمضمون الذي يعطي منه بعض المقتطفات؛ بالتالي، الفرضيّة الأبسط هي أنّ المؤلَّفَ كان بين يديه.

٤ – هل إنجيل الإبيونيين هو نتيجة عمليّة تنسيق؟

الميزة الأهمّ في هذا الإنجيل المنحول هي أنّه ينتمي إلى النوع الأدبيّ للتجانس أو للتنسيق الإنجيليّ[٤٢]. نحن نعلم أنّ كثرة الأناجيل وتنوّعها قد خلقَا صعوبات لاهوتيّة للمسيحيّة الأولى؛ إحدى طرق حلّ مسألة عددها وتناقضها، أقلّه طالما كان القانون في طور التكوّن، كان استبدالها بنصّ وحيد مبنيّ انطلاقًا من عناصرها الرئيسيّة. "إنجيل الإبيونيّين" هو الشاهد الأوّل على هذه المحاولات. كلّ البدائل الموجودة فيه بالنسبة إلى متّى، ومرقس، أو لوقا، والتي لا ترتبط بنزعته اليهو–المسيحيّة، تُفسَّر في الواقع بأنّها عمل دمج لهذه المصادر. إنّ منهجيّة جليّة بنوع خاصّ هي تلكَ التي اتُّبِعَت في رواية عماد يسوع، حيثُ يُضاعَف الصوت السماويّ بشكل مصطنع ثلاث مرّات من خلال وضع الكلمات الإلهيّة الواحدة إلى جانب الأخرى، تمامًا كما هي في الأناجيل الثاني والثالث والأوّل (الجزء ٤). في أماكن أخرى ينسّق المؤلِّف، وبطرق مختلفة، معطيات متّى ومرقس (الجزء ٢)، ومتّى ولوقا (الجزء ١ و٥ و٧)، أو أيضًا مرقس ولوقا (الجزء ٣)؛ هناك مُستَلٌّ واحد فقط، وهو قصير جدًّا، لا يسمح إلاّ بظهور إنجيل واحد وهو متّى (الجزء ٤)، كما لاحظ ذلك إپيفانيوس. هذا الإنجيل الأخير هو الذي أمّن مؤشِّرَ الترابطِ في هذا التجميع، كما يؤكّده كون الرسول متّى هو الذي يدعوه يسوع بنوع خاصّ، والذي بدون شكّ هو مكلَّف بذات الفعل بأن يكون الناطق باسمه وأمين سرّ رفاقه (الجزء ١).

المؤلِّف مُحرَّر بضمير المتكلّم الجمع، أي باسمهم معًا، مبيّنًا، من خلال هذا، أنّه يرمي قبل كلّ شيء إلى استبدال الشهادات الخاصّة بهذا أو بذاك من التلاميذ ليصبح "إنجيلَ الاثني عشر رسولاً"، مستعيدًا هكذا عنوانًا يذكره بنوع خاصّ أوريجانوس[٤٣]، الذي قد يكون أساسًا عنوانَه الأصليَّ (الجزء ١). هذه الملاحظات ليست من دون وقع على تأريخ الكتاب، الذي ينبغي أن نضعه في القرن الثاني، بين الزمن الذي فيه ابتدأت الأناجيل الإزائيّة تصبح مشرّعة، وبين ذاك الذي فيه وضع طَطْيانوس مؤلّفَه المكوَّنَ من الأناجيل الأربعة، أي الدياتسّرون (*Diatessaron*)[٤٤]، وهو إنجاز تمّ تحقيقه بطريقة أفضل بكثير لأنّه يتضمّن لا بل يعطي امتيازًا لإنجيل من نموذج آخر، هو يوحنّا.

(٤٠) كان الإبيونيّون يُدعون أحيانًا بـ"السِمّاكوسيّين"، حسبما يؤكّد القدّيس أمبروسيوس في تفسيره للرسالة إلى الغلاطيّين، المقدّمة:
Ambroise, *Comment. Gal.*, *Prol.*; *PL*, 17, 337.

(41) Eusèbe, *Histoire ecclésiastique*, VI 17.

(42) Daniel Bertrand, « Évangile aux Ébionites », François Bovon et Pierre Geoltrain, *Écrits apocryphes chrétiens*, Bibliothèque de la Pléiade ; Gallimard 1997, p. 449-457.

(43) Origène, *Homélies sur Luc*, 1, 2.

(44) Daniel A. Bertrand, « L'Évangile des Ébionites : une harmonie évangélique antérieure au Diatessaron », *NTS* 26 (1980) 548-563.

إنّ ترتيب الأجزاء الإنجيل الإيبونيّ هو الترتيب الذي فيه تظهر عند إبّيفانيوس. من المفضّل اعتماد نصّها الوارد عند هذا الأخير.

إنّ الجزءين الثالث والسابع هما واردان جزئيًّا مرّة ثانية عند عالِم الهرطقات هذا في الكتاب ذاته[٤٥] مع بدائل خفيفة أُخِذَت بعين الاعتبار[٤٦].

٥ – مضمون إنجيل الإيبونيّين

يعتبر الإيبونيّون إنجيلهم كتابًا بيبليًّا، ويعتبره إبّيفانيوس صيغةً مشوّهةً لإنجيل متّى، ويُورِدُ منه مقاطع عدّة (الأجزاء ١–٧)، من دون أن يُعطيَ عنوانه الحقيقيّ. بكلّ تأكيد، كان هذا المؤلَّف من النموذج الإزائيّ، مكوَّنًا من تعابير مستعارة من الأناجيل الثلاثة الأولى، استعاد مضمونًا مشابهًا تمامًا لمضمون هذه الأخيرة، وبقي منه بعض أجزاء نصوص تدور حول ظهور يوحنّا المعمدان ورسالته، ودعوة الاثني عشر، وعماد يسوع، والفصح الأخير، كما أيضًا قولان للمسيح حول عائلته وحول الذبائح[٤٧].

تتكلّم الأجزاء السبعة، التي تمّ جمعها، على يوحنّا المعمدان، وعلى اختيار الرسل، وعلى معموديّة يسوع[٤٨]؛ هي تقدّم صياغةً لنصّ مت ١٢: ٤٦–٥٠، وهو تعليم موازٍ لـ مت ٥: ١٧، لا سيّما ما يتعلّق بالفصح. كانت رواية العشاء الأخير والآلام حاضرة. إنّ الترتيب الذي وَفْقَهُ تُقَدَّم المستلزمات لا يخلو من الصعوبة.

الرقم ١ يتضمّن بالتأكيد بدايةَ الإنجيل بوصول المعمدان، كما يؤكّد إبّيفانيوس بوضوح.

الرقم ٢، بالمقابل، يمكن أن يُقسَم إلى اثنين؛ في هذه الحال، اختيار الاثني عشر، المتوافق مع خطّ الروايات القانونيّة، يمكن نقله إلى ما بعد معموديّة يسوع، الذي يجري الإخبار عنه في **الجزء ٤**. يبدو أنّ سياق النصّ، بالمقابل، والرباط بين **الرقم ٢ والرقم ٣**، وصيغة المقدِّمة التي يستعملها إبّيفانيوس للجزء ٤: "بعد أن نقلتُ أشياء أخرى كثيرة"، تُبَرِّرُ كلُّها الترتيبَ المتَّبَع[٤٩].

٦ – لغة إنجيل الإيبونيّين

لغة **إنجيل الإيبونيّين** الأساسيّة هي بالطبع اليونانيّة، كما يبيّن ذلك اللّعب على الكلام (الجزء ٢)[٥٠]. كان بإمكان سجع كلمةِ akrij، "جندب"، مع كلمة egkrij، "كعكة"/"قالب" (الرقم ٣) فقط أن يُؤدّي بالمؤلِّف إلى أن يذكّر بالمنّ، كما هو موصوف في خر ١٦: ٣١ (egkrij en meleti)، وفي عد ١١: ٨ (egkrij ex elaiou).

٧ – نمط إنجيل الإيبونيّين الأدبيّ

النمط الأدبيّ لهذا الإنجيل هو نمط إنجيل إزائيّ. بشكل عامّ يمكن القول بأنّ العلاقات مع متّى لا تتخطّى كثيرًا العلاقات مع مرقس ولوقا. الرقم ٥ له موازٍ فقط مع مت ٥: ١٧ي، بينما المعطيات الزمنيّة والبيوغرافيّة المتعلّقة بالمعمدان، وبعمر يسوع، والأقوال التي في الرقم ٧ هي من لوقا. في رواية معموديّة يسوع يجري استخدام الإزائيّين الثلاثة. يصدح صوت السماء مرّات ثلاث، بحسب مر ١: ١١؛ لو ٣: ٢٢د؛ مت ٣: ١٧. نظريّة الاعتماد على إنجيل الناصريّين التي أطلقها بعض

(45) Épiphane, *Boîte à remèdes* XXX, 14, 3 et 3X, 22, 5.

(46) Daniel Bertrand, *op.cit.*, p. 449s.

(47) Daniel Bertrand, *op.cit.*, p. 449s.

(48) Camille Focant, *Les évangiles apocryphes*, coll. Horizons de la foi, 58, Connaître la Bible, Bruxelles 1994, 10-11.

(49) Cf. W. Michaelis, *Die apokryphen Schriften zum NT*, ³1962, p. 128s.

(50) Daniel Bertrand, *op.cit.*, p. 449s.

الباحثين، مثل وايْتْس[٥١]، وشُوبس[٥٢]، لم تكن هناك إمكانيّة لإعطاء برهانٍ عليها معلَّلٍ بحججٍ دامغة. لا يحول التأثير الإزائيّ دون تحرير الكاتب المادّة التي بين يديه بطريقة متحرّرة؛ وحرّيّة من هذا النوع هي واضحة، إنْ من الناحية الأدبيّة، وإنْ من الناحية العقائديّة. في الحالة الأولى المميَّز هو الجزء المتعلّق باختيار الرسل: هو يسوع بالذات مَن يُخبر، والخبرُ مُدرَجٌ في إطار خبرٍ آخَر للرسل بصيغة المتكلّم: "اختارنا". نحن لا نعلم إذا كانت صيغة المتكلّم للرسل أم ليسوع قد تواصلت أيضًا في باقي النصّ. كان على الشهادة الرسوليّة، مع ذلك، أن تضمن سلطةَ المؤلَّف، الذي قد يكون متّى ناشرَه، متّى الذي تُبرَزُ دعوتُه بطريقة خاصّة في آخِر الجدول. قد يكون هنا أصل أبوّة المؤلَّف التي يذكرها إيريناوس، ثمّ إبّيفانيوس.

٨ – عقيدة إنجيل الإبيونيّين

يبتعد هذا المنحول مرّات عدّة عن النصوص القانونية، بسبب انحراف عقائديّ مطابق لهرطقة مستعمليه. هكذا يظهر يسوع بعمر البلوغ كرجل بسيط –لا وجود لرواية طفولة–، ثمّ يختار رسلَه ليوجّههم إلى إسرائيل (الجزء ١)؛ ولا يصبح مسيحًا إلاّ عند عماده، عندما تحلّ فيه حمامة الروح (الجزء ٤). يمكن الاسم الرباعيّ الأحرف (le tétragramme) (الجزء ٢ و٧) والجدلُ الذي ضدّ الذبائح (الجزء ٦) أن يكونَا أيضًا مفسَّرَين كسمات عن اليهو–المسيحية[٥٣].

تقدّم الناحية العقائديّة للنصّ نقاطًا ثلاثًا محدَّدة بما يكفي، تميّز الأتباع عن فريق الناصريّين، وفي الوقت عينه، أقلّه جزئيًّا، عن مسيحيّة الكنيسة الكبرى: كريستولوجيّا ذات نكهة غنوصيّة، ميل غذائيّ نباتيّ، وبالتالي عداوة مع طقوس الهيكل. ليست بنوّة يسوع الإلهيّة متأصّلة في ولادته من عذراء (رج مت ١–٢، الذي، كما قيل، كانوا قد ألغوه)، بل في نزول الروح القدس أو المسيح ودخوله في يسوع (الرقم ٤). يتكلّم الإزائيّون فقط على نزول (مر ١: ١٠؛ مت ٣: ١٦؛ لو ٣: ٢٢). ليس المقصود إذًا التبنّي، كما كان ينادي قِرِنْثُو ومِرِنْثُو، بل سكنى كائنٍ بشريٍّ في الإنسانِ يسوع (رج في الرقم ٢: "كان رجُلٌ اسمُه يسوع..."). عندما يُقال في الجزء ٥ عن المسيح بأنّه خليقة، رئيس ملائكة، هو يُعتَبَر سيّد الملائكة والخلائق، كلّ هذا يلمّح إلى كريستولوجيّا خاصّة. إنّ إلغاء الذبائح الطقسيّة هو بالتالي موصوف كمهمّةِ رسالةِ يسوع وتعليمه. هكذا يُفَسَّر الرفض بشكل عامّ، الكامن في الجزء ٧، لطقوس الهيكل، ولأنّ طعام يوحنّا السابق قد تبدّل ليصبح "حلوى بالزيت"، بدلاً من "الجراد".

٩ – تاريخ إنجيل الإبيونيّين

إنّ استخدامَ إيريناوس لأناجيل الإزائيّين ومعرفته بـ**إنجيل الإبيونيّين**، حوالى سنة ١٧٥، يجعلان محتَمَلاً **أصل الكتاب في النصف الأوّل من القرن الثاني**، وقد يكون في عبر الأردنّ، مقرّ شيعة الإبيونيّين الرئيسيّ، حيث تمكّن إبّيفانيوس من أن يعرف النصّ ويفصله.

١٠ – نصّ[٥٤] إنجيل الإبيونيّين والتعليق عليه[٥٥]

نُدرج في ما يلي ما تبقّى من نصّ إنجيل الإبيونيّين

(51) H. Waitz, *Die Pseudo-Klementinen* (*TU*, *NF*, 10, 4), Leipzig, 1904 (cité par J. Daniélou, *op. cit.*, p. 8).

(52) H.-J. Schoeps, *Theologie und Geschichte des Judenchristentums*, Tübingen 1949 (cité par J. Daniélou, *op. cit.*, p. 8).

(53) Daniel Bertrand, *op.cit.*, p. 449s.

(٥٤) أجزاء من: إبّيفانيوس، **علبة الأدوية**، ٣٠/١٣: ١–٧. الترجمة مأخوذة أساسًا من:

Epiphanius, *Panarion*, XXX, 13, 1-7, ed. Holl, *GCS* 25, Leipzig 1915, 333ss.

(٥٥) لقد اعتمدنا في الرقم ١٠ من بحثنا على معطيات مؤلَّف د.برتران:

Daniel Bertrand, *op.cit.*, p. 450-457.

كما حفظه إبّيفانيوس، الذي يضيف تعليقاته قبل أو بعد هذا المتبقّي المذكور. ونُتبعُ النصَّ بتعليقات عليه بهدف التوضيح حيث أمكن وعلى قدر ما أمكن، خاصّة من خلال المقارنة مع نصوص بيبليّة على علاقة به، بدءًا بالأناجيل الإزائيّة، وعلى رأسها الإنجيل بحسب متّى. نشير إلى أنّنا قد أبرزنا نصّ إنجيل الإبيونيّين بحرف أسمك من الباقي.

المقطع الأوّل: دعوة الاثني عشر[٥٦]

النصّ:

"في الإنجيل المستعمل عندهم، والذي يُقال بأنّه "بحسب متّى"، لكنّه ليس تامًّا ولا كاملاً، بل مشوّهٌ ومبتورٌ إلى حدٍّ كبير، هم يدعونه "(الإنجيل) العبريّ"، يُخبَرُ ما يلي:

"كان هناك رجل اسمه يسوع، عمره حوالى الثلاثين سنةً، وهو الذي اختارنا. جاء كفرناحوم، ودخل بيت سمعان الذي يُلقَّب بطرس، وفتح فمه وقال: بينما كنت أمرّ قرب بحيرة طبريّا[٥٧]، اخترتُ يعقوب ويوحنّا ابنَي زبدى، وسمعان، وأندراوس...، وتدّايوس، وسمعان الغيور، ويهوذا الإسخريوطيّ. وأنت أيضًا، يا متّى[٥٨]، أنا دعوتُك، بينما كنتَ جالسًا إلى طاولة الجباية، فتبعتني. أريد إذًا أن تكونوا اثني عشر رسولاً، لتشهدوا أمام إسرائيل[٥٩]" (١٣: ٢ي).

التعليق:

لم يكن هذا المقطع بدايةَ الإنجيل المنحول، الذي يتألّف من المقطع الثالث، إنّما هو سيرة بدايات يسوع. قصّة دعوة الاثني عشر التي تُعرَض باستفاضة[٦٠] (ينقص أربعة أسماء وهي: فيليبّس، برتلماوس، توما، يعقوب ابن حلفى) أكثر ممّا هي في الأناجيل الإزائيّة، لأنّها تخبر عن أوّل عمل مُعلَن للمخلِّص، والسرد يأتي على فمه (رج مت ١٠: ٢–٤، ٦؛ مر ٣: ١٦–١٩؛ لو ٦: ١٣–١٦)[٦١].

لدينا في المقطع عينه اقتباسات عدّة من متّى ومن لوقا، لكن لا شيء من هذا من مرقس أو من يوحنّا. مقدّمة خطبة يسوع، وتقديم متّى على أنّه عشّار، وفكرة الإرسال إلى إسرائيل، مصدرها كلّها من متّى.

"**وكان هناك رجل اسمه يسوع**": بالنسبة إلى اللاهوت اليهو–مسيحيّ، يظهر المخلِّص أوّلاً كشخص عاديّ. بإمكان بداية هذا الجزء – Egeneto tij anhr onomati Ihsouj – أن تكون بداية **إنجيل الإبيونيّين**. أضف إلى ذلك أنّ الكلمة anhr قد تشير إلى بشريّة يسوع، مقابل ألوهيّته، وهذه إحدى المميّزات الخاصّة بالعقيدة الإبيونيّة.

"**يناهز الثلاثين عامًا**": "وكانَ يسوعُ، عِندَ بَدءِ رِسالتِه، في نَحوِ الثَّلاثينَ مِن عُمرِه" (لو ٣: ٢٣).

"**الذي اختارنا**": قد يشير الضمير المتّصل الجمع "نا" في الفعل "اختارنا" إلى أنّ هذا الإنجيل المنحول قد كُتب باسم الرسل جميعهم.

"**وأتى كفرناحوم**": رج مت ٨: ٥: "ودخَلَ كَفَرْناحوم"؛ مر ١: ٢١: "ودَخلوا كَفَرناحوم"؛ لو ٤: ٣١: ونزَلَ إِلى كَفَرناحوم، وهيَ مَدينةٌ في الجَليل، فجَعَلَ يُعَلِّمُهُم يومَ السَّبْت".

(56) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 13, 2-3.

(٥٧) يدعوها الإزائيّون "بحرَ أو بحيرةَ (لو ٥: ١) جنّاشر أو الجليل". الاسم "طبريّا" يستخدمه يوحنّا فقط (رج يوسيفوس، **الحرب اليهودية** ٣، ٥٧؛ ٤، ٤٥ب). قد يكون موقعُ متّى الخاصُّ في أصل العنوان الذي أعطاه إيريناوس وحتّى إبّيفانيوس لـ **إنجيل الأبيونيّين**، أي **الإنجيل بحسب متّى**.

(٥٨) في الجدول ينقص إذًا أربعة رسل: فيليبّس، برتلماوس، توما، ويعقوب بن حلفى. في بعض المخطوطات ينقص أيضًا اسم يهوذا.

(٥٩) يتمّ هكذا التعبير عن طابع النصّ اليهو–مسيحيّ بالطريقة الأوضح. ويبدو هنا أنّ المقصود في رسالة يسوع هم اليهود بالدرجة الأولى.

(٦٠) رج لو ٣: ٢٣؛ ٦: ١٣؛ مت ٨: ٥؛ لو ٤: ٣٨؛ مت ٥: ٢؛ لو ٥: ١؛ ٦: ١٣؛ مت ١٠: ٢–٤؛ ٩: ٩؛ ١٠: ٢؛ ١٠: ٦.

(٦١) اختيار الرسل بحسب الأناجيل الإزائيّة: مت ١٠: ٢–٤، ٦؛ مر ٣: ١٦–١٩؛ لو ٦: ١٣–١٦.

"**ودخل بيت سمعان**: لو ٤: ٣٨: "ثُمَّ تَرَكَ المَجمَع ودَخَلَ بَيتَ سِمعان".

"**وفاه يعلّمهم**": مت ٥: ٢: "فشَرَعَ يُعَلِّمُهم".

"**على شاطئ البحيرة**": لو ٥: ١: "وازْدَحَمَ الجَمعُ عليه لِسَماعِ كَلِمَةِ الله، وهُوَ قائمٌ على شاطِئِ بُحَيْرَةِ جِنَّاسَرِت".

"**وأنت يا متّى**": كان هذا الرسول على الأرجح ترجمانَ رفاقه.

"**وكنتَ جالسًا في مكتب الجباية، فقمتَ وتبعتني**": "ومَضى يسوعُ، فَرأَى في طَريقِه رَجُلاً جالِسًا في بَيتِ الجِبايَةِ يُقالُ لَه مَتَّى، فقالَ لَه: إتبَعْني! فقامَ فَتَبِعَه" (مت ٩: ٩).

"**حتّى تشهد أمام شعب إسرائيل**": يبدو هنا أنّ اليهو–مسيحيّين هم بشكل نموذجيّ المستفيدون الحصريّون من الأمر المعطى بالقيام بالرسالة أكثر من أيّ زمنٍ مضى أمام إسرائيل.

المقطع الثاني: خدمة يوحنّا المعمدان[٦٢]

النصّ:

"وأيضًا:

بينما كان يوحنّا يعمّد، جاءه فرّيسيّون واعتمدوا مع كلّ أورشليم. كان يوحنّا يلبس ثوبًا من وبر الإبل، وكان له حزامٌ من جلد على حَقْوَيْه. طعامه كان عسلَ البَرّ الذي له مذاق المنّ، كحلوى بالزيت[٦٣].

هكذا هم شاؤوا أن يبدّلوا كلمات الحقيقة إلى كذب، ويُحِلُّوا الحلوى مكان الجراد" (١٣: ٤ي).

التعليق:

هذه الإشارة إلى خدمة يوحنّا هي عند إبّيفانيوس التكملة للجزء ١. لا يستوحي هذا المقطع شيئًا من لوقا، بل من مرقس إذ يبدو أنّ الكلمات الثلاث الأولى هي من الأسلوب الخاصّ بهذا الأخير، والباقي هو بالأحرى من متّى، بدءًا من ذكر الفرّيسيّين الذي لا نجد ذكرًا لهم إلاّ في هذا الإنجيل. هكذا إذًا هو يستوحي من مر ١: ٤، بالنسبة إلى كلماته الأولى، ومن مت ٣: ٥–٧، ثمّ من مت ٣: ٤، بالنسبة إلى باقي النصّ[٦٤]. بالمقابل، يتبع المقطع تصميم مرقس وفق الترتيب التالي: ظهور يوحنّا (مر ١: ٤)، نجاح عماده (مر ١: ٥)؛ خُلُقيَّة المعمدان (مر ١: ٦)؛ أمّا متّى من جهته فيقلب العنصرين الأخيرين؛ بالمقابل،لا نصّ موازيًا له لدى لوقا.

"**مذاقه هو مذاق المنّ، كحلوى بالزيت**": إستنادًا إلى خر ١٦: ٣١، وعد ١١: ٨، "**المنّ**" هو أبيض كبزر الكُزبُرة، وطعمه كقطائف بالعسل.

(62) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 13, 4.

(٦٢) يتمّ وصفُ يوحنّا السابق، في مر ١: ٦ ومت ٣: ٤، بمفردات تكفي لأن يتمكّن القارئ، كما المعاصرون، من أن يعرفوا من خلال اللباس إيليّا الجديد: هكذا كان آحاز قد تعرّف إلى النبيّ القديم (٢ مل ١: ٨).

(٦٣) كان الجراد واحدًا من حشرات أربع يجوز الاغتذاء منها استنادًا إلى لا ١١: ٢٢. يبدو يوحنّا إذًا كرجل ضمن الشريعة وكرجل الشريعة، قادرٍ جدًّا على أن يبشّر بنصر كبير، لأنّه كان يتمتّع بنور داخليّ، يرمز إليه العسل البرّيّ، والشيء نفسُه كان قد حصل يومًا ليوناتان (١ صم ١٤: ٢٤–٣١).

نشير هنا إلى اختفاء ذكْر الجراد الذي كان يوحنّا يغتذي منه، والسبب في ذلك هو أنّ الأبيونيّين كانوا يتبعون نظامًا غذائيًّا نباتيًّا؛ لذلك بدّلوا في إنجيلهم كلمة akrij، "جندب"، بكلمة egkrij، "قالب حلوى بالزيت".

(٦٤) مر ١: ٤: "تَمَّ ذلكَ يَومَ ظَهَرَ يوحَنَّا المَعمَدانُ في البَرِّيَّة، يُنادي بِمَعموديَّةِ تَوبَةٍ لِغُفرانِ الخَطايا"؛ مت ٣: ٥–٧: "وكانَتْ تَخرُجُ إِلَيهِ أُورَشليم وجَميعُ اليهوديَّة وناحيةُ الأُردُنِّ كُلُّها، فيَعتَمِدونَ عَن يَدِه في نَهرِ الأُردُنِّ مُعتَرِفينَ بِخَطاياهم. ورأَى كثيرًا مِنَ الفِرِّيسيِّينَ الصَّدُّوقيِّينَ يُقبِلونَ على مَعموديَّتِه، فقالَ لَهم: يا أَولادَ الأَفاعي، مَن أَراكُم سَبيلَ الهَرَبِ مِنَ الغَضَبِ الآتي؟"؛ مت ٣: ٤ للباقي من النصّ: "وكان على يوحنّا هذا لباسٌ مِن وَبَرِ الإبِل، وحَولَ وَسَطِه زُنَّارٌ من جِلْد. وكان طعامُه الجرادَ والعسلَ البَرِّيّ".

"قالب حلوى بالزيت": لا يتوقّف إبّيفانيوس عن السخرية من التصحيح العقائديّ الذي يقوم به واضع إنجيل الإبيونيّين لصالح تقفية أو تسجيع الكلمات اليونانيّة التي تشير إلى هذه الأطعمة، أي akrij –"جندب"، وegkrij – "قالب حلوى بالزيت"، حتّى يجعل من يوحنّا المعمدان نباتيًّا. الامتناع عن اللّحم ليس غريبًا على من كان يهو–مسيحيًّا. لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المقطع الذي نحن بصدده يذكر تفصيلاً ذا بعْدٍ عقائديّ يهو–مسيحيّ نموذجيّ: "الجراد" الذي يأكل منه يوحنّا المعمدان، استنادًا إلى مر ١: ٦، قد أضحى في النصّ "حلوى بالزيت". بالتأكيد كان الإبيونيّون نباتيّين، بسبب موقفهم من الذبائح الحيوانيّة[٦٥]، وهذه حالة شائعة في الحركات المعمدانيّة[٦٦].

المقطع الثالث: ظهور يوحنّا المعمدان[٦٧]

النصّ:

"إليك بداية إنجيلهم الذي يتلقّونه:

في أيّام هيرودس، ملك اليهوديّة، راح يوحنّا يعمّد عمادًا للتوبة في نهر الأردنّ. كان يُقال بأنّه قد يكون من نسل هارون، ابن زكريّا وأليشَبع. وكان الجميع يأتون إليه" (٣: ١–٦).

التعليق:

في ١: ٤ يشرح إبّيفانوس ويكرّر بدقّة أكبر، فيقول: "لكون السلالة لدى متّى مبتورةً، هم يبدأون، كما قلتُ، على الوجه التالي: في أيّام هيرودس، ملك اليهوديّة، في زمن حبريّة قيافا، جاء شخصٌ يُدعَى يوحنّا يعمّد عمادًا للتوبة في نهر الأردنّ..."؛ رج لو ١: ٥–١٨؛ ٣: ٢ي؛ مر ١: ٤ي.

تتوافق بدايةُ الإنجيل الإبيونيّ إذًا مع مت ٣؛ هو لم يكن يتضمّن ولادة يسوع من عذراء (مت ١). ولأنّ إيرونيموس يذكر بدائل في **الإنجيل العبرانيّ** أو **إنجيل الناصريّين**، في ما يتعلّق بـ مت ٢: ٥، ١٥، ٢٣، فيمكن بالتالي أن نتبيّن وجود تمييز واضح بين الوثيقتَين.

المقطع الرابع: اعتماد يسوع[٦٨]

النصّ:

"ثمّ، بعد أن أوردَ أمورًا أخرى كثيرة، أكمل:

بعدما اعتمد الشعب، جاء يسوعُ أيضًا واعتمد على يد يوحنّا. وعندما خرج من الماء، انفتحت السماوات، ورأى يوحنّا الروحَ القدس تحت شكل حمامة ينزل ويدخل فيه (= في يسوع). ثمّ كان صوتٌ آتٍ من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيب، الذي بك سررت. ومن جديد: أنا اليوم ولدتكَ. فورًا أضاء نورٌ عظيمٌ المكان. عندما رأى يوحنّا ذلك، يروي الإنجيل، قال له: مَن أنتَ، يا ربّ؟ ومن جديد صدح صوتٌ من السماء باتجاهه: هذا هو ابني الحبيب، الذي به ارتضيت. عندها خرّ (يوحنّا) أمامه وراح يقول له: أتوسّل إليك، يا ربّ، عمّدني أنتَ! لكنّ يسوع التفت إليه قائلاً له: دعْكَ من ذلك، ينبغي أن نتمّ هكذا كلَّ شيء" (٣: ١٣–١٧ي).

التعليق:

هذه الرواية حول اعتماد يسوع عند إبّيفانيوس هي تكملة مباشرة للمقطع ٣، وهي تستعيد جوهرَ المقاطع المقابلة في الأناجيل الإزائيّة، مت ٣: ١٣–١٧؛ مر ١: ٩–١١؛ لو ٣: ٢١–٢٢، رابطةً معطياتها عند الحاجة ببعض الرُبُط ("ومن جديد"، ثمّ "ومن جديد أتى صوت من السماء نحوه").

(65) Épiphane, *Boîte à remèdes*, XXX 15, 3; Pseudo-Clément, *Homélie* XII, 6, 4.

(٦٦) "المنّ" و"الحلوى بالزيت" يشيران بالتأكيد إلى عد ١١: ٨: "وكان المَنُّ كبِزْرِ الكُزبُرة، ومنظره منظرُ المُقْل. وكان الشّعبُ يتفرّقُ فيَلتَقِطُه ويطحنُه بالرَّحى أَو يَدُقُّه في الهاوَن ويطبخُه في القِدْرِ ويصنعُه فطائر، وكان طَعْمُه كطعمِ قطائفَ بزيت".

(67) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 13, 6.

أنظر لو ١: ٥؛ ٣: ٢–٣؛ مر ١: ٤؛ ١: ٥؛ لو ١: ٥؛ مر ١: ٥.

(68) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 13, 7-8.

– "**ونزل عليه الروح القدس في صورة جسديّة كأنّه حمامة**": من الواجب ذكره هو أنّ "الحمامة" ليست لفظة للمقارنة، لكنّها فاعلةُ الحدث، وهذا ما يجعلها موضوعيًّا، إذ ما إنْ تأتي من العلى حتّى تدخل في المُعَمَّد، أي بشكلٍ مبطّن تذوب فيه. وتقاربًا مع اللاهوت اليهو–مسيحيّ جرى هذا الحدث في الأردنّ باتّحاد يسوع مع الروح.

– "**أنت ابني الحبيب وإيّاك ارتضيت**": أوّل صوت إلهيّ.

– "**أنا اليوم ولدتك**" (لو ٣: ٢٢): ثاني صوت إلهيّ.

– "**وعمّ المكانَ نورٌ عظيمٌ**" (أو "**انشقّت السماء**"): ... في مت ٣: ١٥ (أنظر...). هذا النور، الذي يجب التمييز بينه وبين النار التي بالنسبة إلى شهود كثيرين رافقوا هذا الحدث، هو إشارة إلى الحضور الإلهيّ، كما في لو ٢: ٩؛ مت ١٧: ٢؛ أع ١٢: ٧؛ ٢٦: ١٣.

– "**هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررت**": مت ٣: ١٤–١٥: ثالث صوت إلهيّ.

– "**وقال له يوحنّا**": الحوار الذي يتبع، موحى من مت ٣: ١٤–١٥؛ رفض المشهد، في نهاية المقطع، يدلّ على أنّ السابق لم يعرف المخلّص إلاّ بعد عماده، أي عندما أصبح مخلّصًا.

– "**ومنعه يسوع**": نلفت الانتباه إلى تغيير الفاعل الذي يقلب علاقة التبعيّة بين المُعمَّد حيال المُعمِّد، كما استمرّ في المصدر الكنسيّ.

المقطع الخامس: عائلة يسوع[٦٩]

النصّ:

"هم يرفضون أن يعرفوه (أي المسيح) كإنسان، بالتأكيد بسبب الجملة التي تفوّه بها المخلّص عندما قيل له: ها أمّكَ وإخوتكَ هم خارجًا. في الواقع:

مَن أمّي ومَن إخوتي؟ وإذ مدّ يده على التلاميذ هتف: هؤلاء هم إخوتي، أمّي وأخواتي، الذين يتمّمون مشيئة أبي" (١٤: ٥).

التعليق:

"**ها إنّ أمّك وإخوتك في الخارج واقفون يطلبون أن يكلّموك**": مت ١٢: ٤٧.

"**من أمّي؟ ومن إخوتي؟ هو العامل بمشيئة أبي الذي في السماوات أخي وأختي وأمّي**": مت ١٢: ٤٨–٥٠، مع تأثير لو ٨: ٢١ بالنسبة إلى صيغة العبارة "**هو العامل بمشيئة**".

المقطع السادس: الذبائح[٧٠]

النصّ:

"وفي هذا الصدد أكّدوا أنّ يسوع قد حُبِلَ به من زرع بشريّ، ودُعِيَ ابنَ الله عبر الاختيار، بفضل المسيح الذي جاءه من العلاء تحت شكل حمامة. ثمّ يقولون بأنّه (أي المسيح) لم يولد من الله الآب، بل خُلِقَ كواحد من رؤساء الملائكة. في كلّ الأحوال، هو يسمو على هؤلاء. هم يعتبرونه كسيّد الملائكة وكلّ خلائقِ الكلّيّ القدرةِ، وأنّه أتى وعلّم، كما هو متَضَمَّنٌ في ما يُدعَى إنجيلهم:

أنا أتيت لأُبطِلَ الذبائح؛ فإذا لم تكفّوا عن تقديم ذبائح، لن يكفّ الغضب عن البقاء قربكم" (١٦: ٤ ي).

التعليق:

"**جئت أبطل التقدمات**": هناك تقارب، بالمبنى أو

أنظر مت ١٢: ٤٨؛ ١٢: ٤٩؛ لو ٨: ٢١؛ مت ١٢: ٥٠.

أنظر مت ٥: ١٧؛ ٩: ١٣؛ ١٢: ٧.

(69) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 14, 5.

(70) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 16, 5.

بالشكل، من مت ٥: ١٧؛ ٩: ١٣؛ ١٢: ٧. والجدلُ الذي ضدّ الذبائح هو علامة شيءٍ من اليهو–مسيحيّة: أنظر مثلاً درجات يعقوب في إبّيفانيوس...

المقطع السابع: الفصح[٧١]

النصّ:

"وإذ أُزيلَ من الوسط التابع الأصيل، غيّر هؤلاء الجملة الواضحة المعنى في سياق النصّ، وجعلوا على فم التلاميذ ما يلي:

أين تريد أن نعدّ لك لتأكل الفصح؟ من المحتمل أن يكون يسوع قد أجاب على هذا بقوله: أيمكنكم أن تصدّقوا أنّني رغبت فعلاً في أن آكل معكم لحمًا في هذ الفصح؟"[٧٢] (٢٢: ٤).

التعليق:

"**أين تريد أن نعدّ لك الفصح لتأكله؟**": مت ٢٦: ١٧.

"**شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح، لحمًا، معكم قبل آلامي**": لو ٢٢: ١٥؛

ترمي عبارتا "**شهوةً اشتهيت**"، و"**لحمًا**"، المُضافتان إلى الشكّ الهرطوقيّ الكبير، إلى إبراز ممانعة يسوع تجاه التغذية باللحم (أنظر المقطع الثاني والحاشية أعلاه).

خاتمة

ممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّنا نعرف إنجيل الإبيونيّين، أو إنجيل الرسل الاثني عشر، بنوع خاصّ بفضل إبّيفانيوس الذي من سلامينا (٣١٥–٤٠٣)، الذي يعتبره نسخةً مختصرة جدًّا عن إنجيل متّى، وأنّ الإبيونيّين، الذين يشتقّ اسمهم من كلمة "إبيون" العبريّة التي تعني "الفقير"، وهم مجموعة يهو–مسيحيّة راديكاليّة من حيث تعلّقُها بالشريعة ومن حيث نزعتُها التقشّفيّة.

انتقد أوريجانوسُ وإيرونيموسُ إنجيلَهم بقوّة لأنّه ينكر ولادةَ يسوع البتوليّة، ويربط بنوّتَه الإلهيّة بتبنّيه عندما عمّده يوحنّا.

اتّخذ الإبيونيّون موقفًا ضدّ الذبائح، كما ضدّ أكل اللحم، ناسبين مواقفهم الغذائيّة النباتيّة هذه إلى يسوع وإلى يوحنّا المعمدان بالذات. لذلك، وعلى نقيض ما يقوله متّى عن أنّ طعامَ يوحنّا المعمدان كان عسلَ البَرّ والجراد ("أَكْرِيس" في اليونانيّة)، يقولون بأنّه كان يغتذي من عسل البَرّ الذي كان له مذاق الحلوى بالزيت ("إجْكْرِيس" في اليونانيّة).

في النهاية، إنجيل متّى هو الأقرب إلى **إنجيل الإبيونيّين**؛ من هنا كان السؤال الهامّ الذي يُطرَح: هل استعمل هذان الإنجيلان مصدرًا مشتركًا، أم أنّ الإبيونيّ يتحدّر من متّى؟ من الواضح تقريبًا أنّ واضع الإنجيل الإبيونيّ أعاد صياغة نصّ الأناجيل الإزائيّة، خاصّةً على ما يبدو الإنجيل بحسب متّى. مع ذلك، بما أنّ مرقس ولوقا يبدوان مستعمَلَين أيضًا، من الممكن أن نتصوّر، أقلّه كفرضيّة، أنّ واضع الإنجيل الإبيونيّ قد استقى من متّى ومرقس ولوقا، وأدرج عقيدة شيعته القائلة ببشريّة يسوع.

(71) Epiphanius, *Panarion*, XXX, 22, 4.

أنظر مت ٢٦: ١٧؛ لو ٢٢: ١٥.

(٧٢) أو "لحمًا في هذا الفصح؟" (kreaj touto to Pasca؛ رج أع ٢٠: ١٦، مفعول به زمنيّ). في ما يتعلّق بـ"التابع الأصيل" الذي تُلِفَ في الرواية الإنجيليّة، فهو يقوم على كون كلمات يسوع (لو ٢٢: ١٥) ليست جوابًا على تساؤل التلاميذ (مت ٢٦: ١٧). نحن إذًا، في ما يتعلّق بالقيمة التأويليّة، أمام الميل الغذائيّ النباتيّ ذاته الوارد ذكره في الجزءين ٣ و٥، ميل ينبغي ربطه بنهج العيش الذي يتبعه الأبيونيّون ("أبيونيم" = فقراء، وضعاء)، الذين يحتقرهم الفرّيسيّون.

بالرغم من شحّ الموادّ التي وصلت إلينا، يشهد الجزء ٥ على حضور خطبة الجبل في **إنجيل الأبيونيّين**. لم يكن ممكنًا ألاّ تكون تلك الخطبة، حيث أُعلنت الطوبى للفقراء كما للفقر، حاضرةً لدى هؤلاء الزاهدين الأبيونيّين.

المراجع

أبو موسى الحريري، **قسّ ونبي: بحث في نشأة الإسلام** (١٩٧٩).

___، **نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين: بحث في مجتمع مكّة**، بيروت ١٩٨٠.

الأناجيل المنحولة، ترجمة إسكندر شديد، دير سيّدة النصر، نسبيه، غوسطا، لبنان ١٩٩٩، ص ٢٣٣–٢٣٤.

سابا جورج، **على عتبة الكتاب المقدّس**، منشورات المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٨٧، ص ٢٣٩–٢٥٣.

يوستينوس، **الدفاع عن المسيحيّين، والحوار مع تريفون**، سلسلة أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص الليتورجيّة، الرقم ٧، جامعة الروح القدس، الكسليك، ٢٠٠٧.

Ambroise, *Comment. Gal.*, *Prol.*; PL, 17, 337.

Amphoux C.-B., « L'Évangile selon les Hébreux source de l'Évangile de Luc », *Apocrypha* 6 (1995) 67-77.

Bardy G., « Ébionisme et Ébionites », *Catholicisme* 3 (1952), col. 1230-1233.

Bareille G., « Ébionites », *DTC* 4/2 (1911), col. 1987-1995.

Bertrand Daniel, « Évangile aux Ébionites », François Bovon et Pierre Geoltrain, *Écrits apocryphes chrétiens*, Bibliothèque de la Pléiade, Gallimard, Paris 1997, p. 449-457.

___, « L'Évangile des Ébionites : une harmonie évangélique antérieure au Diatessaron », *NTS* 26 (1980) 548-563.

Boismard M.-É., « Évangile des Ébionites et problèmes synoptiques (Mc 1, 2-6 et par.) », *RB* 73 (1966) 321-352.

Bovon François et Geoltrain Pierre, *Écrits apocryphes chrétiens*, Bibliothèque de la Pléiade, Gallimard, Paris 1997.

Daniélou J., *Théologie du judéo-christianisme*, Desclée 1958.

Épiphane, *Boîte à remèdes*.

___, *Panarion*.

Erbetta Mario, *Gli Apocrifi del Nuovo Testamento*, I/1. *Vangeli*, Marietti 1975, p. 132-136.

Fitzmyer F., « Ébionites », *DS* 4 (1960), col. 32-40.

Focant Camille, *Les évangiles apocryphes*, coll. Horizons de la foi, 58, Connaître la Bible, Bruxelles 1994.

Geoltrain Pierre et Bovon François, *Écrits apocryphes chrétiens*, Bibliothèque de la Pléiade, Gallimard, Paris 1997.

Holl K., *Epiphanius*, t. I. *Ancoratus und Panarion* (*haer. 1-33*), Leipzig 1915 (GCS 25), p. 349-351.

Howard G., "The Gospel of the Ebionites", *Aufstieg und Niedergang der römichen Welt*, 2, 25, 5, Berlin u. New York, 1988, p. 4034-4053.

Irénée St., *Contre les Hérésies*.

Leclercq H., « Ébionisme », *DACL* 4/2 (1921), col. 1703-1709.

Michaelis W., *Die apokryphen Schriften zum NT*, [3]1962.

Mimouni Simon-Claude, *Le judéo-christianisme ancien, essais historiques*, coll. Patrimoines, Cerf 1998.

Origène, *Contre Celse*.

___, *Homélies sur Luc*, 1, 2

Schneemelcher Wilhelm, *Neutestamentliche Apokryphen*, 5.Auflage. I, Band, *Evangelien*, Tübingen 1987, S. 138-142.

Schoeps H.-J., *Theologie und Geschichte des Judenchristentums*, Tübingen 1949.

___, *Auf frühchristlicher Zeit*, Tübingen 1950.

___, « Ébionites », *DHGE* 14 (1960), col 1314-1319.

Vielhauer P. – Strecker G., "Judenchristliche Evangelien", dans W. Schneemelcher, *New Testament Apocrypha*, t. I, Tübingen, 1987, p. 138-142.

___, "Jewish-Christian Gospels", dans W. Schneemelcher, *New Testament Apocrypha*, t. I, Louisville/Kentucky, 1991, p. 166-171.

Waitz H., *Die Pseudo-Klementinen* (*TU*, *NF*, 10, 4), Leipzig, 1904.

___, "Das Evangelium der zwölf Apostel (Ebioniten-Evangelium)", *Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft* 13 (1912) 338-348; 14 (1913) 38-64, 117-132.

___, "Neue Untersuchungen über die sogennanten judenchristlichen Evangelien", *Zeitschrift für die neutestamentliche Wissenschaft* 36 (1937) 60-81.

طفوليّات يسوع

المونسنيور بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

المقدّمة

خبر طفولة يسوع هو مجموعة قصيرة من الأحداث يُقدَّم فيها يسوع من عمر خمس سنين حتَّى اثنتي عشرة سنة، على أنَّه وَلد مشاغب، يُجري المعجزات وينعم بمعارف عقليَّة رفيعة.

منذ نشرة فبريسيوس[1] سنة ١٧٠٣، نُشر هذا المنحول دومًا تقريبًا على اسم: **الطفولة بحسب توما**. تستند هذه التسمية إلى تماهٍ خاطئ مع **إنجيل بحسب توما**، أشار إليه مرارًا كتَّاب كَنَسِيُّون. أمّا ف ١ الذي ينسب **خبر طفولة يسوع** إلى "توما الإسرائيليّ" فيعود إلى تفسير متأخِّر، ساعة **الإنجيل بحسب توما** هو كتيّب غنوصيّ وُجد في نجع حمَّادي، ولا علاقة له إطلاقًا بالنصّ الذي ندرس. وإذ أردنا أن نتجنَّب كلَّ لُبس، فضَّلنا أن نعطي المؤلَّف عنوانًا تقليديًّا، وإن وجب أن نترجم بشكل تقريبيّ، لأنَّ اليونانيّ paidika يعني حرفيًّا: "الأمور المتعلِّقة بالطفولة"، فقلنا: "طفوليَّات يسوع".

حين شرح يوحنّا الذهبيّ الفم إنجيل يوحنّا، بين سنة ٣٦٨ وسنة ٣٩٨، في أنطاكية، أعلن لسامعيه أنَّ يسوع لم يُجرِ عجائب قبل معموديَّته، لأنَّ هذه العلامات التي تُدعى paidikia ... tou Xristou ، "طفوليَّات المسيح" هي كذب واستنباطات بعض الكذَّابين"[2]. من السهل أن نرى في هذه الأقوال أوَّل تلميح (واضح) إلى هذا المنحول وإلى عنوانه. ويبقى أنَّ هذا النصَّ كان معروفًا قبل النصف الثاني من القرن الرابع.

فالنصُّ نفسه والتقليد المخطوطيّ يعودان إلى تاريخ قديم جدًّا: سمات عتيقة تجعل الروح والحرف معًا، وبالتالي تشدّد على سلطة العهد الجديد... أمّا التقليد المخطوطيّ، أوَّل شهود –القرن الخامس بالنسبة إلى اللاتينيّ، والقرن السادس بالنسبة إلى السريانيّ– فيظهر آثار نقْل متشعِّب يعود بنا إلى القرن الثالث. ولكن يستحيل، في الوضع الحاليّ لمعلوماتنا، أن نحدِّد أكثر من ذلك تاريخ التأليف، كما يصعب علينا تحديد المكان الذي فيه كتبت "الطفوليَّات". هناك إشارات تدفعنا إلى القول بأنَّ الكتيّب انتشر أوَّلاً في محيط سوريّ لبنانيّ فلسطينيّ؛ فهناك تلميح من إبّيفان (أسقف قبرس)، وأصله من فلسطين، إلى معجزات أجراها يسوع حين كان طفلاً وهو يلعب[3]. وكثرة وجود المخطوطات

(1) J. A. Fabricius, *Codex apocryphus Novi Testamenti* (1703).

(2) Jean Chrysostome, « Homélie 17 sur Jean », *Patrologia Graeca,* 59, col. 110.

(3) Épiphane, *Panarion,* II, 20, 2

القديمة: سريانيَّة، حبشيَّة، جيورجيَّة، لاتينيَّة. وما أورده الذهبيّ الفم، "فالعبور إلى الشرق" لهذا المنحول الذي أثَّر في العالم البوذيّ.

واللغة هي اليونانيَّة اللامشذَّبة، والنصُّ غير واضح دائمًا. وغياب الوضوح شجَّع إعادة النظر وإعادة الكتابة، كما نرى في المخطوطات. بنية النصّ بدائيَّة؛ فإشارات مبعثرة عن عمر يسوع (٢: ١؛ ١١: ١؛ ١٣: ١؛ ١٩: ١)، وعبارات وصل تشكِّل مفاصل الكتيّب الذي أراد أن ينتظم بحسب تسلسل كرونولوجيّ.

هناك تكرارات في النصّ؛ مثلاً، روى الكاتب ثلاث مرَّات مشهد يسوع مع معلِّم في المدرسة (٦–٨؛ ١٤–١٥). كما نجد اتِّجاهات تعليميَّة متعدِّدة، وبعضها يذكِّرنا بالغنوصيَّة. مثلاً، وصف حرف *alpha* في ف ٦، ربطها إيرينِه بتعليم مرقس الغنوصيّ. ونتعرَّف إلى آثار أخرى للغنوصيَّة: ينفصل يسوع عن ذاك الذي سوف يُصلَب، بحيث إنَّ الآلام هي ظاهرة لاحقيقيَّة (٦: ٢ب). ثمَّ دور يوسف هو ما يلفت الانتباه: يُدعى والد يسوع دون أيّ توضيح. وسلطته على الولد لا تُقاوَم: يوبِّخه، يعاقبه، يعلِّمه مهنة النجارة. مثل هذا يشير إلى ارتباط "الطفوليَّات" بمحيط إيبونيّ يعتبر يسوع ابن يوسف بالجسد. ثمَّ يتحدَّث ف ١٦ عن أخ ليسوع في معنى حرفيّ، أعطاه الاسم التقليديّ: يعقوب (غل ١: ١٩). وأخيرًا أُخذ ف ١٩ حرفيًّا من لو ٢: ٤١–٥٢؛ فهذا يدهشنا، لأنَّ الكتيّب لا يستعمل العهد الجديد بشكل مباشر، بل بشكل غير مباشر وبالتلميح. هذا يعني أنَّه استقى من مصادر متعدِّدة.[٤]

دُوِّن النصّ في اليونانيَّة ونُقل بين القرنَين الرابع والسابع إلى السريانيَّة[٥] ثمَّ إلى الحبشيَّة[٦] والجيورجيَّة[٧]، ومرَّة أولى إلى اللاتينيَّة[٨]. لا تحمل جميع هذه الترجمات القدْر عينه؛ فبالرغم من قِدَمِها، ترتبط السريانيَّة واللاتينيَّة بموديل يونانيّ ثانويّ سبق وأعيدت صياغته. النصُّ الجيورجيّ قد يعود إلى السريانيّ عبر الأرمنيّ الذي ضاع، ولا نمتلك منه سوى مقاطع. الترجمة الحبشيَّة اختلفت عن سائر الشهود، فاحتفظت بشكل من ف ١٣ أبسط وأقلّ تأثُّرًا بالأمور العجيبة. مقابل هذا، ضمَّت ف ١٢ مع اختلافات تدوينيَّة يسهل اكتشافها فتدلُّ على عادات محلِّيَّة.[٩]

أمّا النسخة العربيَّة فهي منقولة عن السريانيَّة التي هي أيضًا مصدر منحول آخر: **حياة مريم في السريانيَّة**، وهذه بدورها هي في أصل مخطوطات عربيَّة ومنها: **حياة يسوع في العربيَّة**، التي نُشرت في فلسطين سنة ١٩٧٣ *EAC*, I, p. 211 . خلال العصر الوسيط، كان توسُّع في هذا الكتيّب. مرَّة أولى أقحم ف ١، ١٠. وهذا النصّ هو في أصل التقليد اليونانيّ المعروف. وأتت صياغة أخرى فدسَّت ف ١٧–١٨ مع اختلافات أخرى أقلّ أهمِّيَّة. من هنا خرجت المخطوطات اليونانيَّة والترجمة إلى السلافيَّة الكنسيَّة[١٠]. بعد ذلك، أتت الترجمة اللاتينيَّة الثانية[١١] فدلَّت على مقدِّمة طويلة

(4) Sever J. Voicu, « Histoire de l'enfance de Jésus », in *Écrits apocryphes chrétiens* (*EAC*), I, (Gallimard, 1997), p. 191-193.

(5) W. Wright, *Contribution to the Apocryphal Literature of the New Testament,* Londres, 1865, p. 6-11, 55-58.

(6) S. Grébaut, *Les miracles de Jésus : texte éthiopien* (« Patrologia Orientalis » 12, 4), Paris, 1917, p. 625 (75)- 641 (91)

(7) G. Garitte, « Le Fragment géorgien de l'Évangile de Thomas », *Revue d'histoire ecclésiastique,* 51 (1956) 513-520.

(8) G. Philipart, « Fragments palimpsestes latins du Vindobonensis 563 (V^e^ siècle?).... », *Analecta Bollandiana,* 90 (1972) 406-408.

قد يكون هذا النصّ أساس نسخة إيرلنديَّة أضحت قصيدةً حوالي القرن الثامن. نشرها J. Carney سنة ١٩٦٤.

(٩) مثلاً دُعيَ يسوع دومًا "الربُّ يسوع" ومريم "سنا (سيِّدتنا) مريم" في تناسق مع التسميات الحبشيَّة المعتادة.

(10) A. De Santos Otero, *Das kirchenslavische Evangelium des Thomas* (« Patristische Texte und Studien », 6), Berlin, 1967.

(11) K. von Tischendorf, *Evangelia apocrypha*... Leipzig, 1876, p. 140-163.

نجدها على الأقلّ في مخطوط يونانيّ.[١٢]

عاد النصُّ الذي نقلناه إلى *EAC*, I, p. ١٩٦–٢٠٤. أمّا الحواشي فمن عندنا كلِّها تقريبًا. وننهي ببعض المصادر الخاصَّة بهذا المؤلَّف.

طفوليّات يسوع
كتاب توما الإسرائيليّ، الفيلسوف
حول الأمور التي عملها الربُّ في طفولته[١٣]

١ أنا توما، ابن الأمَّة الإسرائيليَّة، أتوجَّه إليكم يا جميع الذين تركتم ضلالات المسيحيِّين وأخذتم بالإيمان المسيحيّ، لتعرفوا معجزات طفولة[١٤] ربِّنا يسوع المسيح، وما فعله بعد أن وُلد في أرضنا. وها هي البداية.

٢ (١) كان الطفل يسوع ابن خمس[١٥] سنوات. وكان يلعب على حافَّة النهر، فيجمع في أقنية صغيرة المياه الجارية. وفي الحال، أضحت صافية واضحة وأطاعت صوته. (٢) وبعد أن صنع بعض الطين[١٦] استعمله يوم السبت، فصنع اثني عشر عصفورًا[١٧]، إنَّما كان ذلك يوم السبت[١٨]. وكان هناك أطفال آخرون كثيرون، وكانوا يلعبون معه. (٣) وإذ رأى يهوديّ كان هناك، ما صنع يسوع، وأنَّه كان يلعب يوم السبت، مضى في الحال وقال لأبيه يوسف: "ها ابنك على حافَّة النهر، حيث صنع بالطين اثني عشر عصفورًا، فدنَّس السبت." (٤) فأتى يوسف إلى ذاك الموضع. وإذ رأى ما صنع يسوع، صاح[١٩]: "لماذا صنعتَ هذا يوم السبت، وهو ما يُمنَع صُنْعُه؟". فصفَّق يسوع بيديه وقال للعصافير: "إذهبوا"[٢٠]؛ فطاروا وهم يزقزقون، فاندهش الفرّيسيّ حين رأى هذه المعجزة، ومضى فأخبر أصدقاءه[٢١].

٣ (١) وأتى ابنُ حنَّان[٢٢] الكاتب مع يوسف، وأخذ غصن صفصاف، فأجرى الماء الذي كان يسوع

(12) A. Delatte, *Anecdota Atheniensia,* J. Liège, 1927, p. 264-271.

(١٣) عنوان ثانٍ يعطي الصفة للكاتب. هو "فيلسوف"، وسوف نرى ارتباطه بالمانويَّة، التي اعتبرت أنَّ تجاه مبدأ الخير هناك مبدأ الشرّ.

(١٤) لا تروي الأناجيل القانونيَّة شيئًا عمّا فعله يسوع في طفولته. كلُّ ما قيل عن الحياة في الناصرة أنَّه "كان خاضعًا لهما" (لو ٢: ٥١). والعبارة الوحيدة التي تلفَّظ بها قبل انطلاقه في رسالته، هي التي قالها خلال وجوده في الهيكل وهو ابن اثنتي عشرة سنة: "لماذا تطلبانني؟ أما تعلمان أنَّه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي؟" (آ ٤٩). والمعنى الروحيّ قبل أن يكون جسديًّا، ويخصُّ يوسف وحده، الذي فهم أنَّ مهمَّته "كأبٍ متبنٍّ" انتهت؛ فيسوع صار "شابًّا" في المفهوم اليهوديّ، وها هو يرتبط بأبيه السماويّ.

(١٥) في النصّ "خمس سنوات" eptaethj. ولكنَّ هناك من قرأ "سبع سنوات" pentaethj. هناك سبب يرتبط بماني الذي ارتبطت السنة السابعة عنده بأحداث خارقة. ثمَّ هذا ما نقرأ في **إنجيل الطفولة العربيّ**، نشره Mario Provera بعنوان:

Il vangelo arabo dell'infanzia secondo il ms Laurenziano orientale (n. 387).

(١٦) حرفيًّا: "المادَّة" أو لنقل تراب الأرض. هذا ما يحيلنا إلى خلق الإنسان حسب تك ٢: ٧. راجع أسئلة برتلماوس ٢: ١١ حيث نقرأ كلام مريم التي أجابت الرسل: "حسب صورتكم خلق الله عصافير الدوريّ الصغير وأرسلهم إلى أربع زوايا الأرض". *EAC*، ١، ٢٧٥.

(١٧) بسبب شيعة التبنِّويَّة adoptanisme اعتبر البعض أنَّ يسوع كان إنسانًا، وتبنَّاه الآب عند عماده في الأردنّ. أمّا عدد من الأناجيل المنحولة فأرادت أن تُظهر ألوهيَّة ويسوع وهو بعدُ طفلاً.

(١٨) ما عاشه يسوع في حياته العلنيَّة يصوَّر هنا وفي عدد من الأناجيل المنحولة. هنا الصراع حول السبت: ماذا يحقُّ للإنسان أن يفعل يوم السبت. رج يو ٥: ٧: هل يحقُّ للمخلَّع أن يحمل فراشه يوم السبت؟ مر ٣: ١ي: هل يحقُّ للطبيب السماويّ أن يشفي يوم السبت، وللرجل أن يمدَّ يده؟

(١٩) في هذا الإنجيل وغيره، نشاهد يوسف كيف يعامل يسوع، فيعتبره طائشًا ويستحقُّ التوبيخ والتأديب والضرب. هذا ما لا يمكن قبوله!

(٢٠) اختلف النصُّ الحبشيّ فبدا وكأنَّه يصحِّح النصّ: "أمضوا، طيروا باتِّجاه الناس الذين هم هناك".

(٢١) رج مت ١٢: ١–٢ وما يوازي من نصوص.

(٢٢) هي إشارة إلى حنَّان ودوره في حياة يسوع، ولاسيَّما في محاكمته. رج لو ٣: ٢؛ يو ١٨: ١٣، ٢٤؛ أع ٤: ٦. ذُكر حنَّان في **إنجيل يعقوب التمهيديّ** ١٥: ٢: أتى إلى بيت يوسف فرأى مريم حبلى...

جمعه وجفَّف الأقنية. (٢) وإذ رأى يسوع[٢٣] ما حصل قال له: "ليكن نسلك بدون جذور، وثمرك جافًّا مثل غصن اقتلعته الريح". وفي الحال، يبس هذا الولد[٢٤].

٤ (١) مرَّة أخرى، كان يسوع ماشيًا مع أبيه، فارتطم بكتفه ولدٌ كان راكضًا فقال له يسوع: "لن تواصل طريقك." وفي الحال، سقط الولد ميتًا. والذين رأوا ما حصل، هتفوا قائلين: "من أين هو هذا الولد؟ فكلُّ ما يقوله يَتمُّ في الحال". (٢) وأتى والدَا الولد الميت إلى يوسف وقالا له: "لا تستطيع أن تسكن معنا في القرية برفقة هذا الولد، أو، على الأقلّ، علِّمْه أن يبارك، لا أن يلعن"[٢٥].

٥ (١) فاقترب يوسف من ولده ووبَّخه وقال له: "لماذا، يا ابني، تفعل هذه الأمور؟ فهؤلاء الناس يتألَّمون ويبغضوننا". فأجاب يسوع: "لو لم تكن أقوال أبي حكيمة[٢٦] لما كان بمقدوره أن يعلِّم أولاده"[٢٧]. وأضاف: "إنَّهم وإن وجدوا اللعنة، فهم ينالون في الحال عقابهم". والذين انزعجوا صاروا عميانًا. (٢) فغضب يوسف وشدَّ له أذنه بقوَّة[٢٨]. قال له يسوع: "يكفيك أن تطلبني وتجدني[٢٩]. أمَّا أنت فلم تتصرَّف بطريقة حكيمة"[٣٠].

٦ (١) وسمعه معلِّم اسمه زكَّا[٣١] يتكلَّم مع أبيه (٢)، فقال زكَّا ليوسف: "أما تعطيني ابنك لكي يتعلَّم أن يحبَّ رفاقه ويكرم كبار السنِّ بحيث يضحي صديق الأولاد ويعلِّمهم بدوره؟".

(٢أ)[٣٢] فأجاب يوسف وقال له: "من هو ذلك الذي يسعه أن يأخذه هذا الولد ويعلِّمه؟[٣٣] لا تتخيَّل أنَّك أمام صليب صغير".

(٢٣) نشير إلى اختلافات في مخطوط آخر. في آ ٢: "حين رأى يسوع ذلك، انزعج وقال له: "يا رجلاً جائرًا وكافرًا وبليدًا، ما الذي أساء إليك هذا الماء؟".

(٢٤) يُضاف هنا: "ثمَّ مضى يسوع إلى منزل يوسف. ووالدَا الولد الذي يبسَ أخذاه بين أذرعهما، آسفين للمصاب الذي ضربه في عمر مبكر، وحملاه إلى يوسف، ورفعَا عليه الصوت باندفاع لأنَّ له ابنًا يفعل مثل هذه الأمور".

(٢٥) أضيف: "لأنَّه يقتل أولادنا". هل "إنجيل" يروي مثل هذا الخبر يستحقُّ أن يكون بين الأناجيل الأربعة، متَّى، مرقس، لوقا، يوحنّا، أي الأناجيل القانونيَّة التي هي "قانون" أي قاعدة الإيمان والأخلاق؟

(٢٦) هنا يتحوَّل النصّ: "أعرف أنَّ الكلمات التي تلفَّظتَ بها ليست من عندك، بل أوحيَ لك بها. إنَّما سأصمتُ من أجلك...". أمّا نحن فأخذنا بالنصّ السريانيّ.

(٢٧) نتذكَّر أنَّ الأناجيل المنحولة تتحدَّث عن أولاد كانوا ليوسف من زواج أوَّل؛ فهو "الأرمل" الذي اختير لمريم بين أرامل عديدين. **إنجيل يعقوب** ٩: ١ي. ثمَّ هذا يتعارض مع الأناجيل الإزائيَّة؛ فيوسف شابّ خطب مريم الصبيَّة. هي كانت البتولة وهو كان البتول، بحيث لم يعرفها (مت ١: ٢٥).

(٢٨) نلاحظ أيضًا تصرُّف يوسف وما فيه من "رعونة" في هذا الخبر. أهكذا كان يوسف؟ راجع **خبر يوسف النجَّار** ١٧: "وفي الحال، أمسكتُ أذنَه وقلتُ له: "كنْ فطنًا يا ابني".

(٢٩) إشارة إلى ما قاله يسوع لمريم ويوسف في السنة الثانية عشرة من عمره. رج لو ٢: ٤٩.

(٣٠) وهكذا بدا يسوع وكأنَّه يعطي درسًا لوالده. أهكذا يكون "طائعًا لوالديه"؟

(٣١) نتذكَّر زكَّا العشَّار (لو ١٩: ١). أتُرى زكَّا هذا سوف يعلِّم يسوع؟ في ف ٦–٨، نقرأ ما يشبه هذا في ف ١٤–١٥. عُرف خبر يسوع في المدرسة، في وقت مبكر. راجع إيرينه، **الردّ على الهرطقات** ١/٢٠: ١: "وحين كان الربُّ ولدًا ويتعلَّم الحروف (الأبجديَّة) قال له المعلِّم، كما كانت العادة: قلْ "ألفا" في اليونانيَّة فقال: "ألفا". ولكن حين أمره المعلِّم، بعد ذلك أن يقول: "بيتًا" bêta (حرب الباء في اليونانيَّة)، قال له الربّ: "قلْ لي أنت ما هي ألفا وعندئذ أقول لك ما هي بيتًا". وفي رسالة الرسل ٤: ١٥: "هذا ما فعل ربُّنا يسوع المسيح حين أرسله يوسف ومريم ليتعلَّم القراءة. قال له المعلِّم: قُل ألفا." عندئذٍ أجابه: "قل لي ما هي بيتًا". *EAC*, I, p. 367.

(٣٢) ما نقرأ في ٦: ٢أ–٢و غير موجود في اليونانيّ، فملأ الفجوة:

K. von Tischendorf, *Evangelia apocrypha, adhibitis plurimus codicibus graecis et latinis... Ed. altera,* Leipzig, 1876.

(٣٣) يسوع هو المعلِّم منذ صغره، حتَّى قبل الثانية عشرة من عمره. سوف نقرأ في ٢ ج: "ما سمعنا يومًا مثل هذه الأقوال". ثمَّ "ما رأينا مثل هذا"، رج مت ٧: ٢٨–٢٩: "فلمّا أكمل يسوع هذه الأقوال، بُهتَت الجموع من تعليمه، لأنَّه كان يعلِّمهم كمَن له سلطان، لا مثل الكتبة." رج مر ١: ٢٢. في يو ٧: ١٤: "وكان يعلِّم". فتعجَّب اليهود قائلين: "كيف يعرف الكتب وهو لم يتعلَّم". ولمّا أرسلوا الشرطة لتقبض على يسوع، عادوا ولم يفعلوا شيئًا، فسألوهم: "كيف لم تقبضوا عليه؟" فأجابوا: ما تكلَّم إنسانٌ مثل هذا الإنسان" (يو ٧: ٤٦).

(٢ب) فأجاب الولد وقال: "أعتبرُ نفسي غريبًا عمَّا قلتَ، أيُّها المعلِّم، فأنا غير ما أنتم، وإن كنتُ في وسطكم؛ فأنا لا أعترف بأيّ كرامة آتية من اللحم (والدم، أي البشر في ضعفهم)؛ فأنت وإن عرفت الشريعة، فأنت مقيم في الشريعة؛ فقبل أن تولَد كنتُ أنا موجودًا[٣٤]. وإذ أنتَ تتخيَّل أنَّك مثل أبي فستنال منّي تعليمًا لم يتعلَّمه أحدٌ ولا علَّمه. والصليب[٣٥] الذي تحدَّثتَ عنه سوف يحمله ذاك الذي يليق به؛ فإنّي حين أُرفَع[٣٦]، أمتنع عمَّا أتشارك به مع نسلك[٣٧]؛ فأنتم لا تعرفون كيف وُلدتم، أمّا أنا وحدي فأعرف[٣٨]، بالضبط، متى وُلدتم وإلى متى تلبثون هنا".

(٢ج) فأخذا يصيحان وقالا مندهشَين: "رأينا عظائم[٣٩]. ما سمعنا يومًا مثل هذه الأقوال، لا لدى الكهنة ولا لدى الفرّيسيّين والكتبة، فمن أين وُلد هذا الولد؟[٤٠] فهو ابن خمس سنوات ونراه يتكلَّم هكذا. ما رأينا يومًا مثل هذا".

(٢د) فأجابهما أيضًا وقال: "لماذا تتعجَّبان[٤١]؟ لماذا لا تؤمنان بالأحرى حين أقول لكم متى وُلدتما؟ ولكنَّني أعرف أيضًا أمورًا أخرى". وحين سمعَا ذلك صمتَا وما استطاعَا أن يجيبَا، فاقترب وقال لهما: "لعبتُ معكما فاندهشتما من شيء قليل وأنتما ذو علم قليل وفهم قليل".

(٢هـ) فقال المعلِّم زكّا ليوسف أبيه: "أعطني إيَّاه: ينبغي أن أعلِّمه كما يليق". واقتاده إلى المدرسة وهو يلاطفه. وإذ دخل يسوعُ صمتَ. فكرَّر له المعلِّم زكَّا الأبجديَّة مرَّات عديدة، بادئًا بـ ألفا، أمّا هو فرفض أن يجيب ولبث صامتًا.

(٢و) فغضب المعلِّم عليه وضربه على رأسه. فقال له الولد: "إن ضربوا السندان فمن يضربه ينال الضربة الأقوى. وأستطيع أن أقول لك إنَّك تتكلَّم مثل نحاس يرنّ ومثل جرس يطنّ"[٤٢]. فهو لا يستطيع أن يتكلَّم، ولا علمَ له ولا حكمة".

(٣) عندئذٍ تلا يسوع كلَّ الأحرف الأبجديَّة من ألفا إلى أومغا[٤٣]. ثمَّ أضاف: "الذين لا يعرفون ألفا، كيف يعلمون بيتًّا؟ يا مراؤون[٤٤]. إبدأوا أوَّلاً أنتم أنفسكم فعلِّموا ما هي ألفا ثمَّ نصدِّقكم في ما يتعلَّق بـ بيتّا".

(٣٤) رج يو ٨: ٥٨: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"، أنا موجود، أنا هو.

(٣٥) إشارة إلى الصليب منذ طفولة يسوع، فلا يستحقُّ سواه أن يحمله.

(٣٦) رج يو ١٢: ٣٢: "وأنا إذا ما ارتفعت..."، يبدو النصُّ وكأنَّه يميِّز بين يسوع الذي يتكلَّم وبين يسوع الذي يُصلب. رج أعمال يوحنّا ١٠١: "ما تعذَّبتُ أيَّ عذاب من الذي نسبوه إليَّ." *EAC*, I، 1007. هو فكر غنوصيّ.

(٣٧) رج يو ٨: ١٤: "أنتم من أسفل وأنا من فوق. أنتم من هذا العالم، وأنا لستُ من هذا العالم". نلاحظ التأثير الذي يتركه يوحنّا في هذا النصّ، ممّا يجعلنا في إطار غنوصيّ، على مستوى معرفة باطنيَّة.

(٣٨) رج يو ٨: ١٤: "أنا أعرفُ من أين أتيت وإلى أين أذهب، وأمّا أنتم فلا تعرفون...".

(٣٩) تحدَّث لو ٧: ١٦ عن "نبيّ عظيم" وهو الذي أقام ابن أرملة نائين.

(٤٠) ذاك كان موقف أهل الناصرة حين أتى يسوع إلى "موطنه" (لو ٤: ٢٣). وبعد الخطبة حول خبز الحياة. رج يو ٦: ٤٢.

(٤١) الإعجاب موقف الناس أمام معجزات يسوع (مت ٩: ٧)...

(٤٢) رج ١ كو ١٣: ١–٢.

(٤٣) w هو آخر حروف الأبجديَّة في اليونانيَّة، لو كنَّا في اللغات السامية، لكانت التاء هي الأخيرة: ت، ל، ת. لهذا عرفت السريانيَّة وأوَّل ترجمة لاتينيَّة "تاو". كانت تلك محاولة ليصبح هذا النصُّ اليونانيّ معقولاً في إطار يهوديّ. رج:

A. Hebbelynck, « Les mystères des lettres grecques d'après un manuscript copte-arabe de la Bibliothèque bodléenne d'Oxford », *Le Muséon,* 1 (1900) 5-36, 105-136, 269-350; 2 (1901) 5-33; 369-414. Voir surtout 1 (1900) 113-131 où est étudiée la letter delta D.

(٤٤) هكذا تكلَّم يسوع مع الكتبة والفرّيسيّين خلال رسالته: مت ٢٣: ٢٥–٢٦.

عندئذٍ بدأ يسوع يطرح أسئلة[٤٥] حول شكل الحرف الأوّل واسمه، ويسأل: لماذا يمتلك مثلّثات كثيرة، ولماذا هو مستطيل ومنحنٍ ومائلٍ إلى أسفل، مفتول؟ لماذا يمتلك زوايا كثيرة ولماذا هو مستقيم؟.

٧ (١) تعجّب المعلّم زكّا واندهش من كثرة الأسماء والحروف[٤٦]، وأخذ يصيح بصوتٍ عالٍ: ذاك ما جلبتُ على نفسي. (٢) أرجوكم، أخرجوه من هنا. لا ينبغي أن يُوجَد على الأرض. في الحقيقة، هو معدّ لصليب كبير. ويسعه أن يُحرق النار. أظنُّ أنَّه وُلد قبل طوفان نوح؛ فأيُّ حشا حمله؟ وأيُّ بطن ولده؟[٤٧] ومن هي الأمُّ التي ربّته؟ لا أتوصّل إلى مواجهته. فأنا مندهش، وبعلمي جلبتُ الغشَّ على نفسي، فما أتعسني! ظننتُ أنّي أجد تلميذًا ولكنّي وجدتُ معلّمًا. (٣) لا راحة لي، فأرى في عينيه الفهم، وأتأمّل بلاغة فمه ونقاوة لغته. (٤) فهل هو الربُّ أم ملاك؟ لا أدري".

٨ (١) حينئذٍ ضحك يسوع وقال: "ليُثمر أولئك الذين لا ثمرة لهم، وليرَ العميان ثمرة الحياة من الدينونة". (٢) وللحال، جميع الذين لُعنوا استعادوا النظر، وما تجرَّأ بعدُ إنسان أن يُسخطه.

٩ ذات يوم[٤٨]، كان يسوع يلعب على السطح مع الأولاد، فسقط ولد ومات. حين رآه الأولاد هربوا. أمّا يسوع فلبث وحده. (٢) فقال ليسوع والدا الولد الميت: "هل أنتَ أوقعتَ الميت؟" فقال لهما يسوع: "أنا ما دفعتُه". (٣) وإذ كانا يهدّدان يسوع، نزل لدى الذي وقع ميتًا، وقال له: "زينون! (ذاك كان اسمه) هل أنا أوقعتك؟" فنهض حالاً وقال له: "لا، يا ربّ"[٤٩]. فلمّا رأى هذا والدا الولد، دُهشَا ومجّدَا الله[٥٠].

١١ (١) ولمّا[٥١] كان يسوع ابنَ سبع سنوات، أرسلته مريم يستقي ماء. في وسط الجمهور، نال الإبريق ضربة فانكسر. (٢) فمدَّ يسوع الرداء الذي كان مرتديه وملأه ماء وحمله إلى أمّه، فاندهشت مريم من كلّ هذا. وكانت تحفظ في قلبها[٥٢] كلَّ ما تَرى[٥٣].

(٤٥) في الثانية عشرة من عمره، كان يسمع المعلّمين ويسألهم (لو ٢: ٤٦). وفي الحياة العلنيّة. مثلاً، حول داود وابن داود (مت ٢٢: ٤١–٤٦). والنتيجة: "لم يستطع أحدٌ أن يجيبه".

(٤٦) هو أحكم من سليمان. رج مت ١٢: ٤٢. هي حياة يسوع العلنيّة تُجعَل في طفولة يسوع؛ فهو "إله" منذ البداية. ولهذا يكون مستحيلاً أن يُصلَب.

(٤٧) رج لو ١١: ٢٧ (طوبى للبطن الذي حملك)؛ **إنجيل يعقوب** ٣: ١. *EAC*، I، p. ٨٤.

(٤٨) حدّدت السريانيّة والترجمة اللاتينيّة "يوم السبت"، في اختلافة قديمة جدًّا: استعاد هذا الحدثَ خبر يوسف النجّار، ١٧: "أقمتَ ذاك الذي افتروا عليه بشأنك وقالوا: أنت هو الذي قتلته". وكان فرحٌ عظيم في بيت ذاك الذي كان ميتًا". *EAC*, II، p. 43–44؛ فيسوع يقيم الميت في طفولته. نتذكّر هنا ما فعل بولس لمّا كان في ترواس، سقط ولدٌ من العلّيّة ميتًا، فأقامه (أع ٢٠: ٧–١٢).

(٤٩) هذا الولد هو الربّ. فعلُ إيمان يشبه بعض ما قاله توما بعد القيامة: "ربّي وإلهي" (يو ٢٠: ٢٨) أو بالأحرى ما قالت مرتا ليسوع: "يا ربّ، لو كنتَ هنا لما مات أخي" (يو ١١: ٢١).

(٥٠) هنا يأتي الفصل العاشر في نسخة تشندورف (حاشية ٢٠). اعتُبر أنَّه أُقحم في ما بعد. وها نحن نجعله هنا: "كان شابٌّ يقطع حطبًا في الجوار، فقطع أيضًا أخمص رجله ومات بعد أن نزفَ دمُه، فاجتمع الناس مذعورين، فأسرع يسوع وفتح له بالقوّة طريقًا وسط الجمهور، وأخذ الرجل المجروحة وشفاها في الحال. وقال: "إذهب واقطع حطبًا". حين رأت الجموع هذا تعجّبت وقالت: "لا شكَّ في أنَّه خلّص نفوسًا كثيرة من الموت وسوف يُخلِص منها كلَّ أيّام حياته".

(٥١) يجد هذا الفعل ما يوازيه تقريبًا (وقد يكون المصدر) في منحول قبطيّ دُعيَ "منحول إرميا". قال: "حين مشى الأولاد معًا باتّجاه النهر، ملأوا أباريقهم ماء، فانكسر إبريق عزرا [...] وحين انتهى عزرا من الكلام نزل إلى ضفّة الماء وملأ رداءه ماء وكأنَّه إبريق، وحمله على كتفه ومشى مع الأولاد". رج:

K. H. Kuhn, "A Coptic Jeremiah Apocryphon", *Le Muséon,* 83 (1970) 310.

(٥٢) رج موقف مريم في لو ٢: ١٩، ٥١.

(٥٣) إنَّ ف ١٢ هو ملحق قديم استلهم العهد الجديد، أدرجه معظم الشهود في جسم هذا المنحول. ولكنَّ المنحول القبطيّ نقله إلى نهاية النصّ. (١) "ذات مرّة زرع يسوع مدَّ حنطة. (٢) فحصد مئة مدّ، فأعطاها للفقراء". رج مت ١٣: ٣–٨؛ تك ٢٦: ١٢ والبركة لإسحق. نقرأ في مخطوط آخر: "ولـمّا حلّ وقت الزرع، مضى يسوع مع أبيه ليزرع قمحًا في الأرض. وهذا الحبُّ وحده أنتج مئة مدّ قمح؛ فجمع كلّ مساكين القرية ووزّع القمح عليهم وحمل يوسف ما تبقّى (كذا في تكثير الأرغفة). وكان يسوع ابن ثماني سنين حين أجرى هذه العجيبة".

٣١ وبلغ يسوع إلى عمر ثماني سنوات. أمّا يوسف فكان نجّارًا[٥٤]، وما كان يعمل شيئًا سوى أنيار ومحاريث وقصبات محاريث. أتاه فلاّح بقطعة خشب لكي ينشرها، فقال يسوع لأبيه: "علِّمني يا أبي أن أنشر". (٢) وأخذ القياسات لينشر، فرقَّق الخشب وربَّعه، وأرى يوسف أباه ما عمل. وقال له: "هل تريد الآن أن أعمل هكذا؟"[٥٥]

٤١ (١) حين رأى يوسف أنَّه ذكيّ، ما أراد له أن يلبث أمّيًّا، فأخذه لدى معلِّم. فقال له المعلِّم: "قلْ ألفا". ثمَّ أضاف: "قُلْ بِيتًا." (٢) فقال له يسوع: "قلْ لي أوّلاً ما هي ألفا فأقول لكم ما هي بيتًا". فغضب المعلِّم وضربه. وفي الحال سقط ميتًا. ورجع يسوع إلى أبويه. وإذ دعا يوسف أمَّه، أمرها بأن لا تتركه يخرج من البيت لئلاَّ يموت الذين يضربونه[٥٦].

٥١ (١) وأتى أيضًا معلِّم آخر وقال ليوسف: "أعطني إيَّاه فأعلِّمه". وأخذ يسوع، (٢) فدخل يسوع إلى المدرسة وما قرأ ما كان مكتوبًا. ولكنّه فتح فمه وتكلَّم في الروح[٥٧] بحيث إنَّ المعلِّم ارتعب وسقط أرضًا، وتوسَّل إليه[٥٨]. واجتمع أناس كثيرون في هذا الموضع، وكلُّ الذين رأوا هذا دُهشوا. (٣) وإذ علم يوسف بالأمر، أسرع، لأنَّه ظنَّ أنَّ المعلِّم سوف يموت. فقال المعلِّم ليوسف: "هذا الذي أعطيتني ليس بتلميذ، لكن معلِّم". فأخذ يوسف الولد وعاد إلى البيت.

٦١ ثمَّ أرسل يوسفُ يعقوب[٥٩] ابنه ليجمع الحطب. ومضى يسوع معه، وإذ كانا يجمعان الحطب عضَّت حيَّةٌ يد يعقوب فأُغميَ عليه؛ فوصل يسوع واكتفى بأن يمدَّ يده وينفخ حيث الحيَّة عقصت (يعقوب) فشفاه. أمّا الحيَّة فماتت[٦٠].

(٥٤) رج مت ١٣: ٥٥؛ مر ٦: ٣. نتذكَّر أنَّ الأتقياء في العالم اليهوديّ امتهنوا مهنة يدويّة لكي يعتاشوا منها إذا دعت الحاجة. هناك من كان حدّادًا أو فرّانًا. أمّا بولس (شاول) فعمل في صناعة الخيام مع أكيلا وبرسكلّه (أع ١٨: ٣). إذا قرأنا مت ٢: ١٩ي، أنظنُّ أنَّ "نجّارًا" في قرية صغيرة يعرف بموت الملك ويقيِّم ابنه أرخيلاوس؟ فإذا كان يوسف دُعيَ نجّارًا، ومثله يسوع، فما كان هذا سوى احتقار. نجّار! من شعب الأرض! ويريد أن يعلِّم!

(٥٥) هذا المنحول قريب من **الحوار مع تريفون** (٨٨: ٨) ليوستين، الفيلسوف النابلسيّ: "كان (يسوع) يصنع أدوات النجارة: محاريث، وأنيار". وُجد ف ١٣ شكلين مختلفين؛ فالذي أوردناه نُقل من الحبشيَّة. وسائر النسخات أضافت أمورًا عجائبيَّة (يعتبرها البعض ثانويَّة، لا الشرق): (١) كان يسوع ابن ثماني سنين. وكان يوسف نجّارًا لا يصنع سوى محاريث وأنيار؛ فطلب منه أحدهم أن يصنع له سريرًا من ستّ أذرع، ولكن لم تملك إحدى الخشبتين القياس الصالح، بل كانت أقصر من الأخرى، (٢) فقاس يسوع الخشبة وأمسكها وشدَّها وأطالها حتَّى جعلها مساوية للأخرى. وقال ليوسف أبيه: "إصنع منه ما تريد".

(٥٦) ف ١٤–١٥. رج ف ٦–٨.

(٥٧) رج لو ١٠: ٢١: "وتهلَّل بالروح". ثمَّ بداية الرسالة في الناصرة مع قراءة أش ٦١: ١–٢. رج لو ٤: ١٨ي.

(٥٨) هي ألفاظ لو ٩: ٣٧ي. كيف سقط الولد، وكيف توسَّل الوالد.

(٥٩) في غل ١: ١٩ نعرف أنّ يعقوب هو أخو الربّ. وتتحدَّث الأناجيل عن إخوة يسوع الأربعة: يعقوب، يوسي، سمعان، يهوذا" (مت ١٣: ٥٥). وفي مر ١٥: ٦١، تُذكر "مريم أمُّ يوسي" الآتية برفقة مريم المجدليَّة؛ فهي غير مريم العذراء. وفي مر ١٦: ١ تُذكر "مريم أمُّ يعقوب" برفقة سالومة (والدة يعقوب ويوحنّا ابني زبدى)، وأخيرًا، مريم المجدليَّة؛ فإذا قابلنا هذا النصَّ مع يو ١٩: ٢٥ حيث التوازي بين أمّه (أمّ يسوع) وأخت أمّه (سالومة)، من جهة، وبين مريم كلاوبا ومريم المجدليَّة، من جهة أخرى، نفهم أنَّ إخوة يسوع هم أبناء مريم وكلاوبا. وما لفت النظر هنا الكلام عن يعقوب "ابن يوسف" وهذا ما لا نجده في الأناجيل القانونيَّة.

(٦٠) نقرأ في **خبر يوسف النجّار** (ف ١٧): قال يوسف: "أتذكر اليوم الذي فيه القرناء (نوع من الحيّات) عضَّت الصبيّ فمات، فطلبتْك أسرتُه لتسلِّمك إلى هيرودس، فأدركته رحمتُك".

أمّا ف ١٧–١٨ اللذان نشرهما تشندورف فيُشكّلان نصًّا مدسوسًا (ليس في محلّه). ونقرأ ١٧ (١) بعد هذا، مات طفل لدى الجيران، فبكته أمُّه كثيرًا. فلمَّا علم يسوع بذلك أسرع طوعًا. وحين وجد الابن ميتًا، لمس صدره وقال له: "يا ولد، أقول لك بألاّ تموت، بل بأن تحيا وتبقى مع أمّك". وفي الحال، نظر وضحك. فقال (يسوع) للمرأة: "خذيه (كما قال إيليّا لأرملة صرفت صيدا، ١ مل ١٧: ٢٣) وأرضعيه واذكريني". (٢) حين رأت الجموعُ الحاضرة هذا، تعجَّبت وقالت: "في الحقيقة، هذا الولد هو الله أو ملاك، لأنَّ جميع أقواله تتمّ". ١٨ (١) بعد وقت من الزمن، كانوا يعملون في بناء بيت مع كثير من الفوضى؛ فنهض يسوع ومضى إلى هناك. وإذ رأى رجلاً ممدَّدًا هناك ميتًا، أخذه بيده وقال: "أيُّها الرجل، أقول لك: قم! واعمل عملك". وفي الحال نهض وسجد (كما لله) له: وإذ رأت الجموع هذا، تعجَّبت وقالت: "هذا الولد آتٍ من السماء، لأنَّه خلَّص من الموت نفوسًا عديدة وسوف يخلِّص غيرها خلال حياته كلِّها".

٩١ (١) وحين كان يسوع ابن اثنتي عشرة سنة، مضى يوسف ومريم إلى أورشليم من أجل عيد الفصح كما اعتادَا. ولمّا احتفلاَ بالفصح عادَا إلى بيتهما. وإذ كانَا عائدين، تأخَّر يسوع في أورشليم وما كانَا يعرفان ذلك، بل اعتقدَا أنَّه مع المجموعة. (٢) وبعد مسيرة يوم، طلبه يوسف ومريم لدى الأهل والأقارب. وإذ لم يجداه رجعَا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيَّام، وجداه في الهيكل جالسًا وسط المعلِّمين الذين يسمعهم ويسألهم، فاندهش جميع الذين سمعوه لأنَّه كان ينبِّه الكهنة ويشرح لهم أمثال الأنبياء والرموز الخفيَّة والصعوبات الموجودة في الشريعة. (٣) فقالت له أمُّه: "يا ابني، لماذا فعلتَ بنا مثل هذا، فإنَّنا تألَّمنا ونحن نطلبك؟" فأجابهما وقال: "ولماذا طلبتماني؟ أمَا تعلمان أنَّه ينبغي عليَّ أن أهتمَّ بأمور أبي؟" فقال الكتبة والفرّيسيُّون لمريم: "هل أنتِ أمُّ هذا الولد؟ فها أنت مباركة في حشاك، لأنَّنا ما رأينا يومًا ولا سمعنا مجدًا مثل هذا وحكمة". (٥) ونهض يسوع، وتبع أمَّه. وكان خاضعًا لوالديه. وحفظت أمُّه كلَّ هذه الأقوال. وكان يسوع ينمو في القامة والحكمة والنعمة في نظر الله والناس[٦١].

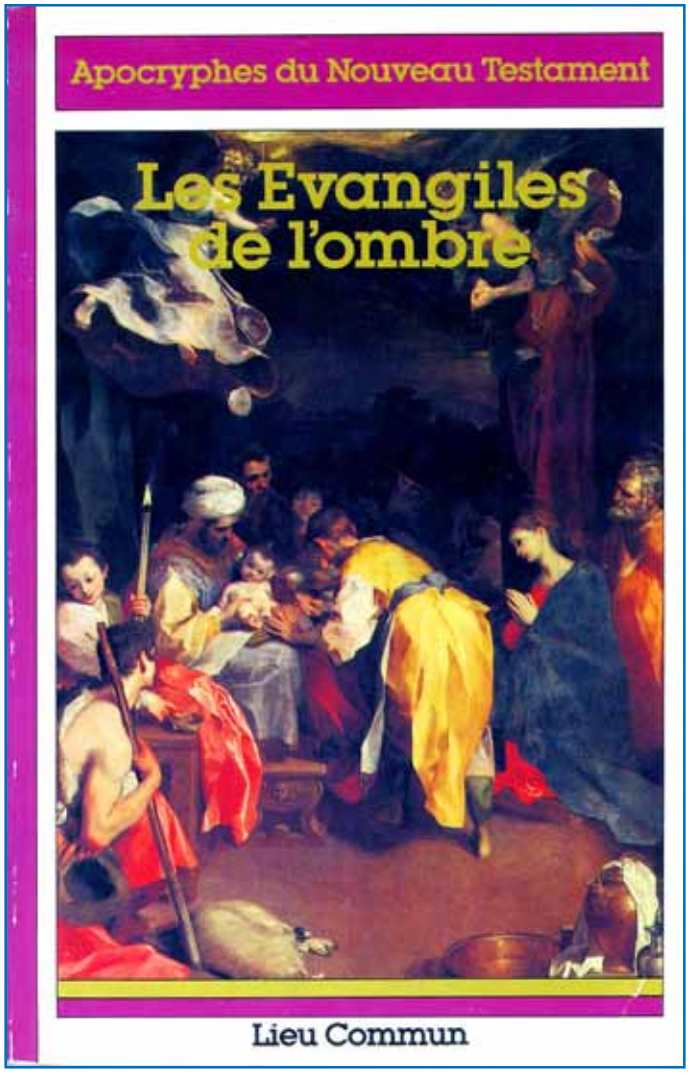

(٦١) هذا الفصل يستعيد لو ٢: ٤١–٥٢ في شكل قريب من النصِّ الغربيّ، وبالتالي مختلف عن النسخة البيزنطيَّة العاديَّة.

إنجيل جمليئيل

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

تصف النسخة الكاملة من إنجيل جمليئيل، وهو منحول يعود إلى القرن الرابع[1]، أو الخامس، أو حتّى السادس، الأحداثَ التي تلت قيامة يسوع، وتمجّد شخصيّة بيلاطس كما شخصيّة زوجته، اللذَين يُعنيَان بالحفاظ على الكفن الذي لُفَ به جسد يسوع في القبر.

١ – عنوان الإنجيل

أطلق الباحثان باومْشْتَرْكِ (Baumstark) ولاَدُوز (Ladeuze) التسمية "إنجيل جمليئيل"، على عظةٍ يتضمّن جزءٌ منها "رثاءَ مريم" أو "مراثي مريم"، فاختاروا هذا الأخير عنوانًا لنصّ يضمّ موضوعات وأنواعًا أدبيّة متنوّعة، كالرثاء، والسرد، والمراسلة، والاستجواب، وغيرها، لذلك فإنّ هذه التسمية غير دقيقة بالتمام. يجمع "رثاء مريم" بين السرد المكتوب من منظور جمليئيل وبين كلمات الواعظ.

يمكن هنا العودة إلى ما لاحظه في هذا السياق الباحث فان دِنْ أودِنْرِين (van den OUDENRIJN)، ألا وهو أنّ "العنوان "رثاءَ مريم"، الذي نجده في المخطوطات الإثيوبيّة، هو غير ملائم للنصف الثاني من العظة التي نحن بصددها؛ ففي الجزء الثاني من السرد لا يَرِدُ ذكرُ مريم على الإطلاق. في واحد فقط من المخطوطات، وهو على ما يرى النقّاد، موضوعٍ في وقت متأخّر، يُقسَمُ الكتيّبُ إلى أحد عشر فصلاً؛ في الخمسة الأولى منها غير واضح أين ينبغي أن نعتبر أنّنا أمام السرد الأصليّ لجمليئيل، وأين نحن أمام إضافات تعود إلى الواعظ"[2].

٢ – المؤلِّف

انتشرت عظة لهِرْياقُوس أو سرياقوس، أسقف البهناسا، تحمل عنوانًا في الترجمة الإثيوبيّة: **لاَهَا مَرْيَمْ**، أي **مرثاة مريم**. إنّ المؤلِّفَ، الذي تمَّت مَسْحَنَةُ اسمه من قِبَل كتّاب حديثين، بسبب الجناس، حتّى صار "كيرياكوس"، هو مشهور كذلك بفضل مؤلّفات أدبيّة أخرى. من المحتمل أن يكون قد عاش في مستهلّ العصر الوسيط، في زمنٍ كانت فيه اللغة القبطيّة، ما زالت مزدهرة جدًّا.

(1) Cf. Marcus A. van den OUDENRIJN, *Gamaliel: Äthiopische Texte zur Pilatusliteratur*, *Spicilegium Friburgense* 4, Freiburg (1959). Voir A. GUILLOMONT, *Revue de l'histoire des religions*, 164/2 (1963) 242-244.

(2) Cf. M.-A. van den OUDENRIJN, *New Testament Apocrypha*, vol. 1, p. 558-559.

٣ – تاريخ الإنجيل

يبدو أنّ النصّ، كما هو في حالته الحاضرة، يرقى إلى القرن الخامس أو السادس، علمًا أنّه من غير المستَبعَد أن يكون قد جرى استعمال عناصر أقدم من السرد.

٤ – لغة الإنجيل

لا دليلَ يجعلنا نفترض بأنّ المؤلّف قد نُشِر أصلاً في اليونانيّة. علاوةً على ذلك، وكما هو معروف، لا يتكلّم الكتّاب اليونانيّون عليه. يجب البحث عن المؤلِّف الحقيقيّ بين الأقباط المصريّين. من المؤكّد بالتالي أنّ النصّ قد وُضِعَ أساسًا في اللغة القبطيّة، ولكن مع بعض استخدام لعناصر مصدرها يونانيّ (أدب بيلاطس).

٥ – أسلوب الإنجيل

إنّ الطريقة التي وَفْقَها يكرّر الكاتب ويوسّع بحرّيّة أخبارًا ودوافعَ مصدُرها – مباشرةً أو عن طريق السماع، ليس من السهل الجزم في ذلك – الأدبُ القانونيُّ (خاصّة يوحنّا)، منحول أو من الفولكلور يستجيب للدرجة المتواضعة من ثقافته وللاهتمام البسيط لقرّائه، مواطنين عاديّين أو مزارعين. بالتالي لا تسبّب مختلفُ التناقضات أو الاعتباطيّات الكثير من العجب. تذكّر الصيغة بالأناجيل المتأخّرة للطفولة. يريد المؤلِّف خاصّةً أن يُمْتِع، مقدِّمًا في آنٍ معًا أمرًا بنّاءً، مقبولاً ومرغوبًا، مع أخبارٍ هي أحيانًا جديدة أو تقريبًا جديدة. نعرف هكذا أنّ الشابّ الذي فرَّ عاريًا في بستان الزيتون هو يعقوب، أخو الربّ (١: ٣٨)، وأنّ بين النساء، عند الصليب، كانت أيضًا حنّة، امرأة كوزا (٢: ٢٧). الاسم المستعار لرابّي كبير، هو يتغطّى به، لا يمنعه من أن يُظهِرَ روحًا لاساميًّا حادًّا.

٦ – هدف الإنجيل

من الواضح أنّ هذه الوثيقة قد وُضِعَت باللغة القبطيّة على يد مسيحيّ أرثوذكسيّ، كان على عداء تجاه اليهود. وكانت رغبته الرئيسيّة التأكيد على حقيقة قيامة يسوع ببراهين يزعم أنّها جديدة، من جهة، وتقديم بيلاطس بصورة إيجابيّة تناقض الصورة السلبيّة المعتادة عنه، خاصّةً وأنّ الكنيسة القبطيّة تعتبره قدّيسًا وتؤدّي له الإكرام على هذا الأساس، من جهة ثانية. اليهود، الذين يصفهم يوحنّا، مع رئيسهم هيرودس، هم المذنبون الوحيدون الحقيقيّون في مسألة صلب يسوع. تظهر صورة بيلاطس في ضوء مؤات وملائم جدًّا، أيضًا أكثر ممّا في **إنجيل بطرس**.

يبدو إنجيل جمليئيل كواحد من النصوص الرئيسيّة المتعلّقة بالقيامة، التي يبدو الدفاع عنها بحجج جديدة هو المثال الرئيسيّ للمؤلّف. يجب بالتالي ألاّ تُنسَى حساسيّة الكاتب الرقيقة والصادقة، كما مواطنوه تجاه **الأُمّ الحزينة**. هي تشارك بشكل ناشط وفاعل وإنسانيّ في آلام يسوع، عندما كان ينازع على الصليب، وبعد القيامة، حالّةً محلّ المجدليّة، وتتلقّى هي أوّلاً ظهور الابن. لا تشكّل التقوى المريميّة التي يُكشَفُ عنها، أيّة صعوبة بعد مجمع أفسس (٤٣١). نشير أيضًا إلى أنّ هناك شيئًا من الاعتماد على **أعمال بيلاطس**، ويمكننا هكذا أن نشير كتاريخ محتَمَل للنصّ الحاليّ القرن السادس. لكن يجب ألاّ تنقص الدوَافع القديمة، التي أُدرِجَت وشُكِّلَت في السياق الجديد.

٧ – تقسيم نصّ "رثاء مريم" وموضوعاته[٣]

العنوان، **مرثاة مريم**، يتوافق تمامًا مع مضمون الجزء الأوّل من العظة، بالتأكيد حتّى ٦: ١٩ منها؛ فبدءًا من هذه النقطة لا تعود العذراء تُذكَر بالاسم.

لقد أُعطِيَ التقسيم إلى فصول من مخطوط متأخر؛ أمّا تقسيم النصّ إلى آيات فقد حقّقه أُودِنْرِين (Oudenrijn). يسعى هذا الباحث كذلك إلى أن

(3) Mario ERBETTA, “Il vangelo di Gamaliele”, in in *op. cit.*, p. 346-362.

يفصل، على قدر الإمكان، مادّة **العظة** عن مادّة **جمليئيل المنحول**؛ إلى هذا الأخير هو ينسب: ١: ٣٦–٤٤، ٤٩–٥١، ٥٦–٥٩؛ ٢: ١٣–٢١، ٢٧–٣٤، ٣٩–٤١، ٥٢ – ٣: ٢٥، ٤٠ – ٤: ٤. بدءًا من ٥: ٢ ينقطع سَرْد جمليئيل عن العظة، مثلاً، ٨: ٤. الخاتمة ١١: ١٢–٥٠ هي توسيع حديث، وتنتهي بشكل مفاجيء. تفاصيل الخاتمة لا تتزامن دائمًا مع ما يسبق (رج ١١: ١٧ = يو ١٩: ٣١ و٣: ١٩–٢١؛ ١١: ٣٦ و٣: ٤٤ي؛ ١١: ٤٩ و٢: ١٧).

أيضًا المصطلحات الإثيوبيّة للحاكم والملابس الجنائزيّة تُبرِزُ اختلافًا عن مصطلحات الرواية السابقة. في ما يتعلّق أخيرًا بالرسالتَين المدرجتَين فيها، أي، على التوالي، **التقرير الودّيّ من بيلاطس إلى هيرودس** (آ ١٥–٢٣)، **وجواب هذا الأخير** (آ ٣١–٣٤)، أصل التوسيع التالي، فإنّهما تتمايزان بوضوح عن تلك التي في السريانيّة أو في اليونانيّة.

على العموم قد يكون التقسيم التالي هو المنطقيّ أكثر ما يكون:

١: ١–١٦: تمهيد للعظة (H)[٤]

١: ١٧–٣٥: رثاء العذراء الأوّل (H)

١: ٣٦–٤٤: مريم تبحث عن الرسل

١: ٤٥–٥٥: رثاء العذراء الثاني (H)

١: ٥٦–٥٩: يوحنّا يأخذ مكان بطرس (G)[٥]

١: ٦٠ – ٢: ١٢: العذراء تذهب إلى الجلجلة (H)

٢: ١٣–٢١: الأمّ عند الصليب (G؟)

٢: ٢٢–٢٦: مزيد من رثاء العذراء (H)

٢: ٢٧–٣٤: مواصلة سرد جمليئيل (G)

٢: ٣٥–٣٨: كلمات مريم الأخيرة للفراق (H)

٢: ٣٩–٤١: زلزال وظلمة لدى موت يسوع (G)

٢: ٤٢–٥١: تجدّد رثاء العذراء (H)

٢: ٥٢ – ٣: ٢٥: مواصلة سرد جمليئيل (G)

٣: ٢٦–٤٠: مراثٍ جديدة لمريم؛ إدراج من قبل الواعظ (H)

٣: ٤٠ – ٤: ٤: مواصلة سرد جمليئيل (G)

٤: ٥ – ٥: ١: مراثي مريم قرب القبر الفارغ؛ توسيعات وعظيّة (H)

من **٥: ٢ إلى ١١: ١١** لدينا **سرد جمليئيل**، نادرًا ما تقطعه بعض نوبات بلاغيّة يُدخلُها **الواعظ**، على سبيل المثال **٨: ٤**

٦: ٢١ – ٧: ٩: بيلاطس يؤمن بقيامة يسوع

٧: ١٠–٢١: بيلاطس يستجوب الجنود الذين وقفوا يحرسون القبر، ويكشف القناع عن أكاذيبهم

٧: ٢٢ – ٨: ١٤: شفاء القائد من خلال ملامسة الملابس التي دُفِن بها يسوع

٨: ١٥ – ١١: ٥: انتشال رجل ميت من قبر يسوع

١١: ٦–١١: تفسير من قبل جمليئيل الشاهد العيان

١١: ١٢–٥٠: المقطع النهائيّ، **تبادل رسائل بين بيلاطس وهيرودس**، هو على الأرجح مواصلة لاحقة لرواية جمليئيل، التي تنقطع في **١١: ٥٠**.

(٤) يشير الحرف H (Homélie) إلى "العظة".

(٥) يشير الحرف G (Gamaliel) إلى "جمليئيل".

٨ – تَناقُلُ الإنجيل وتعريبُه[٦]

تواصل نَسْخُ النصّ الأصليّ أقلّه حتّى القرن العاشر؛ وعندما تفوّقت اللغة العربيّة، نُقِلَت عظة هِرْياقُوس المذكورة مرّات عدّة إلى العربيّة؛ واحدة من هذه النسَخ أو بالأحرى من هذه المراجعات للنصّ هي في أساس النسخة الأثيوبيّة التي حقّقها المتروبوليت أبّا سَلاَمَا حوالى سنة ١٣٥٠ تقريبًا.

٩ – نشر الإنجيل

تمّ نشر أجزاء، قبطيّة، تنتمي إلى مؤلّفات مختلفة ومصدرها مخطوطات متنوّعة، في مستهلّ القرن العشرين على يد لاكو (Lacau) ورِفيلّو (Revillout). استفاد من بعضها بشكل مستقلّ باومْشْتَرْك (Baumstark) ولاَدُوز (Ladeuze) من أجل الحصول على رسم تخطيطيّ لِمَا أُعطِيَ على يدهما اسم **إنجيل جمليئيل**. لا تزال هناك مراجعات عربيّة مختلفة للعظة المذكورة، منشورة جزئيًّا في كتب عبادات لدى أقباط مصر. هناك مراجعة أخرى عرّف بها مِنْغانا (Mingana) الذي استعان بمخطوطَين كرشونِيَّين (عربيّ بخطّ سريانيّ) كانا قطعتين من النصّ الإثيوبيّ معروفتين منذ سنة ١٨٩٢، لكن فقط سنة ١٩٥٩، وبعناية أُودِنْرين (Oudenrijn)، ظهرت طبعة كاملة مع ترجمة ألمانيّة للنصّ.

١٠ – مَن كان جمليئيل؟

كما هو الحال بالنسبة إلى العديد من الشخصيات البيبليّة، وأيضا من حيث الأهمّيّة، لا يُعرَف الكثير عن حياة جمليئيل سوى أنّه كان ابن شقيق هِلِّل هَنَّسِيء، مؤسس مدرسة رابّينيّة فرّيسيّة، الذي صاغ واحدًا من توصيات التوراة الستمائة وثلاث عشر ("لا تعمل لقريبك ما لا تريد أن يُعمَلَ لك"). درس جمليئيل أيضًا، مثل سلفه، "شريعةَ الآباء". وإذ كان موضوع تقدير لدى الشعب العبريّ، أسّس هو أيضًا مدرسة، أقل أهمّيّة من مدرسة هِلِّل، وكان معلّمًا لشاول، الذي سيصبح بولس الرسول مستقبلاً.

يخبر سفر أعمال الرسل عن تدخُّل جمليئيل لصالح بطرس ويوحنّا، اللذَين كانَا يكرزان بالإنجيل، وأُحضِرَا من قِبَل الصدّوقيّين أمام السنهدرين الذي كان جمليئيل تحديدًا عضوًا فيه.

نُدرِج هنا ما ورد في أع ٥: ٣٤–٤٠ **حول جمليئيل:**

"فقامَ في المجلسِ فرّيسيٌّ اسمُه **جمليئيل**، وكانَ مِن مُعلِّمي الشَّريعة، وله حُرمةٌ عندَ الشَّعبِ كلِّه، فأَمَرَ بإخراجِ هؤلاءِ الرِّجالِ وقتًا قليلاً، ثُمَّ قالَ لهم: "يا بَني إسرائيلَ، إيَّاكم وما توشِكونَ أن تَفعلوه بهؤلاءِ النَّاس؛ فقَد قامَ ثودَسُ قَبلَ هذهِ الأيَّام، وادَّعى أنَّه رَجُلٌ عظيم، فشايَعَه نحوُ أربعمائةِ رَجُل، فقُتِلَ وتَبَدَّدَ جميعُ الَّذينَ انقادوا له، ولَم يَبْقَ لهم أثَر. وبَعدَ ذلك قامَ يهوذا الجليليُّ أيَّامَ الإحصاء، فاستَدرَجَ قومًا إلى اتِّباعه، فهَلَكَ هو أيضًا، وتَشَتَّتَ جميعُ الَّذينَ انقادوا لَه. وأَقولُ لكم في صَدَدِ ما يَجري الآن: كُفُّوا عن هؤُلاءِ الرِّجال، واترُكوهم وشأنَهم، فإن يَكُنْ هذا المقصَدُ أو العملُ مِن عندِ النَّاس فإنَّه سيَنتَقِض، وإن يَكُنْ مِن عندِ الله، لا تستطيعوا أن تَقْضوا عليهم. ويُخشى عليكم أن تَجِدوا أنفُسَكم تُحارِبونَ الله". فأَخَذوا برأيِه، ودَعَوا الرُّسُلَ فضَرَبوهم بالعِصِيّ ونَهَوهُم عنِ الكلامِ على اسمِ يسوع، ثُمَّ أَخلَوا سبيلَهم..."

لماذا اتّخذ جمليئيل هذا الموقف بعد صلب يسوع؟ لماذا خاطر، وهو عضو في السنهدرين، بهذا الموقف المتقدِّم والمثير لو لم يكن في الوقت نفسه من أتباع

(6) Mario ERBETTA, "Il vangelo di Gamaliele", in *Gli Apocrifi del Nuovo Testament*, I/2, Marietti 1981, ristampa 1992, p. 344-345: "Trasmissione".

الديانة الجديدة أو من محبّذيها؟ ربّما يأتينا تأكيد من الإنجيل بحسب يوحنّا، الوحيد الذي يذكر نيقوديموس جنبًا إلى جنب مع يوسف الرامي، الذي ساهم في إنزال جسد يسوع بعد الصلب، وجلب الحنوط لتحضيره للدفن. وفقًا للتقليد، ومن أجل هذه اللفتة، أُخِذَت أملاك نيقوديموس كلّها. في هذه الحالة أيضًا لم يدافع فقط جمليئيل عنه أمام السنهدرين، بل استضافه في منزله.

١١ – جمليئيل شاهد عيان

استنادًا إلى ما يكتبه جمليئيل، يُلاحَظ تدخّلُه المباشر في الجزء الثاني، أي بعد قتل يسوع. هو يؤكّد بوضوح: "أنا كنت هناك وعاينتُ".

ماذا يبغي جمليئيل أن يجعلنا نفهم؟ ربّما، حقيقة أنّه قبل الحكم على يسوع وموته كان يؤمن بديانة الآباء، وفورًا عند قتل يسوع أدرك أنّ هذه الديانة كانت "كاذبة" أو خاطئة "يديرها" كهنة كذبة، وغير عادلين وقَتَلَة.

حول هذا الأمر، وحول نفاق رؤساء اليهود، لا تورد الأناجيل الأربعة شيئًا سوى إشارة وجيزة في فقرة حوالى النهاية، في نص متّى، الذي يقول:

"وبينما هما ذاهبتان جاءَ بعضُ رجالِ الحرسِ إلى المدينة، وأَخبَروا عظماءَ الكهنةِ بكُلِّ ما حَدَث. فاجتمعوا هم والشُّيوخ، وبعدَما تشاوروا أَعطَوا الجنودَ مالاً كثيرًا، وقالوا لهم: قولوا إنَّ تلاميذَه جاؤوا ليلاً فسَرقوه ونحنُ نائمون. وإذا بَلَغَ الخبرُ إلى الحاكِم، أَرضَيناه ودَفَعْنا الأَذى عنكُم. فَأَخذوا المالَ وفعَلوا كما لَقَّنوهم، فانتشرت هذه الرِّوايَةُ بينَ اليهودِ إلى اليوم" (مت ٢٨: ١١–١٥).

١٢ – جمليئيل والمؤلِّف[٧]

الكاتب الذي إليه ترقى أبوّة الإنجيل المنحول الذي نحن بصدده، إذ كان يرغب في أن يطوّر ويعزّز أيضًا، كما يفعل مؤلِّفون آخَرون من هذا النوع، بمن فيهم الوعّاظ، المعطيات المتروكة من النصّ المقدّس، والمتعلّقة بالآلام والقيامة، لم يتأخّر بالتأكيد عن أن يدرك أنّ اسم جمليئيل، كما أيضًا أسماء بطرس، وبيلاطس، ونيقوديمس، مثلاً، كان بإمكانه أن يقدّم درجةً عاليةً من الضمانة لروايته. وهكذا، ما هو مسرود هو موضوع على فم الشخص المذكور أعلاه (٨: ١٦؛ ١١: ٦، ٨). المقصود بدون شكّ هو جمليئيل القديم؛ كان ابن أخيه، جمليئيل الشابّ، رئيسَ السنهدريم في يَبْنَه بعد خراب الهيكل. الشخص المشهور، الذي كان ينتمي إلى الجيل الأوّل من **التنّائيم**، هو مذكور أكثر من مرّة، إنْ في **المِشْنَه**، وإن في **أعمال الرسل**. في أع ٢٢: ٣ نقرأ أنّ بولس تعلّم الشريعة عند قدمَيه وَفْقَ التأويل الأكثر أرثوذكسيّة. الموقف المتسامح الذي دعمه أمام العقيدة الجديدة حصل على قرار بألاّ تُفاقِمَ السلطات اليهوديّة الوضع ضدّ الرسل المعتقلين بأمر من عظيم الأحبار (أع ٥: ٣٤–٣٩). كان بإمكان "عالِم الشريعة، المقبول من الشعب بأسره"، أن يبدو هكذا في التقليد اللاحق كمسيحيّ[٨]. استنادًا إلى هذه الوثيقة الأخيرة، وُجِدَت عظامُه، عظام الابن، وعظام نيقوديمس الصدّيق، على الأرجح، مع عظام إسطفانوس، سنة ٤١٥، في القرية التي تحمل الاسم نفسه "كَفَرْجَمَالاَ". إنّ الجمع بين نيقوديمس وجمليئيل له ما يشهد له في نصّنا، أقلّه استنادًا إلى النصّ العربيّ، نصّ مِنْغانا، الذي فيه يظهر الأوّل كمعاون. في النسخة الإثيوبيّة يرد بدلاً من ذلك ذِكْر أنيفوس، الذي يتطابق دون شكّ مع أبيباس أو أبيبوس بحسب *Ep. Luciani*.[٩]

١٣ – قيامة يسوع في إنجيل جمليئيل

أ – شفاء عين القائد بلفائف يسوع القائم من الموت

(7) Mario ERBETTA, “Il vangelo di Gamaliele”, in *op. cit.*, p. 345-346: “Gameliele e l’autore”.

(8) *Rec. Clem.* 1. 65-67; *Ep. Luciani*.

(9) Mario ERBETTA, “Il vangelo di Gamaliele”, in in *op. cit.*, p. 345-366.

استنادًا إلى **إنجيل جمليئيل**، حصل ارتداد الحاكم الرومانيّ بيلاطس عند قيامة المسيح. في الواقع، "لمّا دخل بيلاطسُ قبر المسيح، أخذ اللفائف وضمّها، ولشدّة فرحه، فاضت عيناه بالدموع. ثمّ التفت إلى واحد من قوّاده الذي كان قد فقد إحدى عينيه في الحرب وفكّر: أنا متأكّد من أنّ هذه اللفائف ستعيد البصر إلى عينه. وإذ قرّب منه اللفائف قال له: ألا تشمّ، يا أخي، رائحة هذه اللفائف؟ لا تنبعث منها رائحة جثّة، بل أرجوان ملكيّ مشبع بالعطور العذبة [...]. تناول القائدُ هذه اللفائف وراح يضمّها قائلاً: أنا متأكّد من أنّ الجسم الذي لففتِه قد قام من بين الأموات! وفي اللحظة التي مسّها وجهُه، شُفِيَت عينُه، ورأت النور البهج كما كان قبلاً. كان هذا كما لو أنّ يسوع قد وضع يده عليه، مثلما فعل للمولود أعمى".

ب – بيلاطس شاهد لقيامة يسوع

في العديد من الأناجيل المنحولة هناك فصل مخصّص لشهود القيامة، الذين يتضاعف عددهم بالمقارنة مع ما في الأناجيل القانونيّة، والذين يصبحون مشاهدِينَ لتجلّياتٍ رائعة. إليك كيف يخبر بيلاطس نفسه عن تجربته استنادًا إلى **إنجيل جمليئيل**:

"رأيت يسوع إلى جانبي! تجاوز بهاؤه بهاءَ الشمس، والمدينة كلّها كانت مستنيرةً به، باستثناء مجمع اليهود! وقال لي: يا بيلاطس، أنتَ تبكي، على ما يبدو، لأنّك جلدتَ يسوع! لا تخف! أنا هو يسوع الذي مات على الصليب، والذي قام من بين الأموات. هذا النور الذي تراه هو مجد قيامتي التي تغمر العالم بأسره بالفرح! أسرع إذًا إلى قبري: سوف تجد اللفائف التي لا تزال هناك، والملائكة الذين يحرسونها؛ إرمِ نفسك فوقها، وقبّلها، صِرْ بطلَ قيامتي، فترى عند قبري معجزات عظيمة: العرج يمشون، والعميان يبصرون، والموتى يقومون. كن قويًّا، يا بيلاطس، لكي تكون منوَّرًا ببهاء قيامتي التي سينكرها اليهود". وفي الواقع، عندما وصل بيلاطس إلى قبر المسيح، عاين المفاجأة تلو الأخرى، والتقى حتّى باللص الذي أُقيمَ من الموت.

هناك إذًا، في الكتب المنحولة، مسيحٌ "آخر" قام من الموت، والتقى جمهورًا من الناس، بالمقارنة مع رواية الأناجيل القانونيّة، التي هي أكثر اقتضابًا وإيجازًا.

ج – لقاء مريم بابنها القائم من الموت

هناك تقليد آخر منحول مملوء حيويّة على وجه الخصوص، هو تقليد يتعلّق بمريم أُمّ يسوع. لا تقول الأناجيل القانونيّة شيئًا عن لقائها مع القائم من الموت. في الواقع، بعد مشهد الجلجلة (يو ١٩: ٢٥–٢٧)، ننتقل إلى كتاب أعمال الرسل، الذي، استنادًا إليه، كان تلاميذ يسوع "بقلب واحد مواظبين على الصلاة" مع مريم "في الطابق العلويّ من بيت [أورشليم] الذي كانوا يعيشون فيه"(أع ١: ١٣–١٤)، دون إضافة أيّ شيء عن لقاء الربّ القائم من الموت بأمّه. تعوّض المنحولات بوفرة عن هذا النقص.

لنعُدْ إلى **إنجيل جمليئيل**. مريم، الخائرة القوى من شدّة الحزن، تبقى في البيت، ويوحنّا هو الذي يخبرها عن دفن ابنها. ولكنّها لا تقبل أن تبقى بعيدةً عن قبر يسوع، لذا قالت ليوحنّا والدموع ملء العينين: "حتّى ولو كان قبر ابني مجيدًا كما سفينة نوح، لن أشعر بأيّة سلوى إذا لم أستطع أن أراه لأبكي هناك. أجاب يوحنا: "كيف يمكننا أن نذهب إلى هناك؟ أمام القبر يوجد أربعة جنود من جيش الحاكم الذين يحرسون [...]. ولكنّ العذراء لم تدعْه يردعها؛ ويوم الاحد باكرًا، ذهبت إلى القبر؛ وإذ وصلت مسرعةً، تطلّعتْ حولها، فرأت الحجر الذي كان قد دُحرِج عن القبر، فهتفت: هذه المعجزة حصلت لابني! انحنت إلى الأمام، لكنّها لم ترَ جثمان ابنها في القبر. وعندما أشرقت الشمس، في حين كان قلب مريم في غمٍّ وحزن، شعرت بأنّ القبر يجتاحه عطرُ طيوبٍ جاء من الخارج، يبدو أنّه عطرُ شجرةِ الحياة! استدارتِ العذراء، حول عليّقةٍ من البخور وبالقرب منها رأت الله واقفًا، متّشحًا بثوب بهيٍّ من الأرجوان السماويّ".

ولكنّ مريم لم تعرف ابنها في هذه الشخصيّة المجيدة. عندها بدأ حوار مماثل للحوار الذي بين مريم المجدليّة والمسيح القائم من الموت بحسب إنجيل يوحنّا (٢٠: ١١–١٨)، فتوضّح اللغز أخيرًا: "لا تضطربي، يا مريم! أنظري وجهي جيّدًا، وكوني على قناعة بأنّني ابنك". فردّت مريم متمنّيةً له "قيامة سعيدة"، ساجدةً له لتعبدَه وتقبّل قدميه.

١٤ – الإنجيل في الاستعمال الليتورجيّ

العدد الأكبر من المخطوطات الإثيوبيّة التي فيها العظة التي نحن بصددها – وحده المتحف البريطانيّ يمتلك ستّة منها ترقى إلى القرن الثامن عشر – يبيّن كم كانت مقبولة لدى مؤمنيّ الكنيسة الحبشيّة. كان النصّ، المقسَّم إلى مقاطع، يُسْتَخْدَم كقراءة ليتورجيّة خلال أسبوع الآلام المقدّس، كون التأليف تحديدًا يتعلّق بوقائع يوم الجمعة المقدّسة والأيّام التي تلي.

١٥ – نماذج من إنجيل جمليئيل

نُدرِج في ما يلي **بعض المقاطع** المستلَّة **من إنجيل جمليئيل** في جزءين متميّزين[١٠]:

– الجزء الأول: ٧: ١١ – ٨: ١٤
شهادة كاذبة من الحرّاس

[٧: ١١]. الآن، بدلاً من الشهود الثلاثة، هناك الجنود الأربعة الذين كانوا يحرسون القبر؛ إذا كانوا قد شهدوا أنّه قام من بين الأموات، فإنّ كلمتهم تكون صحيحة، ولكن إذا لم يشهدوا لذلك، لا تكون لنا علاقة بالأحلام".

[١٢] ثمّ دعا بيلاطس الجنود الأربعة وسألهم: "ماذا حدث اليوم في القبر؟". وإذ أدركوا أنّ كلاً منهم يتحمّل مسؤوليّة الهرب، قدّموا شهادة كاذبة: (يسوع) لم يقم، بل سُرِق جثمانه.

[١٣] أمر بيلاطس بالفصل بينهم وبإدخال كلّ واحد في مكان مختلف.

[١٤] ثمّ أمر بإحضار الأوّل، وقال له: "قل لي الحقيقة: مَن الذي سرق جسد يسوع؟". فقال له: "بطرس ويوحنّا سرقَا جسده".

[١٥] وأمر بعد ذلك بإبعاده؛ وجيء بالثاني فقال له: "أنا مقتنع بأنّك وحدك فقط تعرف أن تقول لي الحقيقة. إشرح لي جيّدًا: أيّ رسول سرق جسد يسوع من القبر؟".

[١٦] فأجابه: "جاء التلاميذ الاثنا عشر جميعهم سويًّا، وسرقوه خلسةً".

[١٧] وأمر بعد ذلك بأن يبعدوه، ثمّ دعا الثالث وقال له: "بالنسبة إليّ، شهادتك هي أفضل من الشهادتَين الأخريَين؛ مَن سرق من القبر جسد يسوع؟".

[١٨] فأجابه: "قام بذلك يوسف ونيقوديموس؛ فلقد جاءَا ليلاً مع جميع خدمهم، ومن دون بذل الكثير من الجهد خطفوه، وزاحوا أيضا الحجر".

[١٩] ودعا الرابع، وقال له: "أنت ذو درجة أعلى من التي للآخَرين؛ في الواقع، هم أطاعوا أوامرك، وخضعوا لقيادتك، أعلمني بالتالي: كيف حصل أن اختُطف جسد يسوع بينما كنتم أنتم تحرسون؟".

[٢٠] فأجابه: "نحن لا نعرف، يا سيّد، مَن الذي أخذه، لأنّنا كنّا نائمين، وعندما استيقظنا وجدناه في بئر البستان، وظننّا أنّهم فعلوا ذلك خوفًا من العبرانيّين".

[٢١] **بيلاطس والسلطات العبريّة عند القبر.** قال بيلاطس للعبرانيّين وللقائد[١١]: "أهذا أفضل الآن أنّ تقاريرهم لا تتطابق، وشهادتهم هي كاذبة؟". وإذ امتلأ غضبًا، أمر بوضع الجنود في السجن حتّى يكون هو قد

(١٠) لقد نقلنا هذين الجزءَين فقط إلى العربيّة بهدف إعطاء فكرة عن أسلوب إنجيل جمليئيل وعمّا يتضمّنه، على أمل أن نعرّبه كلّه مستقبَلاً.

ذهب إلى القبر.

[٢٢] ومن دون تأخير، نهض مع قادة العبرانيّين، والقائد، ورامي السهام، ورؤساء الكهنة، وذهبوا إلى القبر، فوجدوا الأكفان، ولكن دون الجثمان.

شفاء قائد المائة

[٢٣] قال لهم بيلاطس: "أنتم تكرهون حياتكم! لو كان الجثمان قد اختطف، لكانت الأكفان أيضًا أُخِذَت".

[٢٤] فأجابوا: "بالتأكيد، هذه الأكفان ليست له، بل لآخَر".

[٢٥] تذكّر بيلاطس الكلمة التي كان قد قالها له ربُّنا، ألا وهي أنّه في قبره ستحدث معجزات عظيمة.

[٢٦] وإذ دخل على الفور إلى القبر، أخذ بيلاطس الأكفان، وضمّها، وبفرح عظيم، انهمرت دموعه التي تكفي لأن تغمر يسوع.

[٢٧] ثم التفت إلى القائد، الذي كان قد بقي عند مدخل القبر، والذي كان أُحادِيَّ العين لأنّه كان قد جُرِح في الحرب من فترة طويلة.

[٢٨] فكّر بيلاطس في نفسه: أنا متأكّد من أنّ هذه الأكفان ستعيد النور إلى عينه.

[٢٩] قرّب الأكفان منه وقال له: "هل تشمّ يا أخي، رائحة الأكفان؟ هذه ليست رائحة جثّة، بل هي مشبعة برائحة أرجوان ملكيّ ذي عطور عذبة".

[٣٠] ولكنّ العبرانيّين قالوا له: "أنت تعلم جيّدًا، يا بيلاطس، أنّ يوسف قد استخدم طيوبًا وبخورًا، وأنّه نضحه بالمرّ والصبر. هذا هو سبب العطر".

[٣١] أجاب بيلاطس: "حتىّ لو كانت قد استُخدِمت مع الأكفان موادّ معطِّرة، لأيّ سبب يُصدِر هذا القبر رائحة عذبة إلى هذا الحدّ، وكأنّه قد رُشَّت عليه الطيوب والعطور؟".

[٣٢] فأجابوه: "هذا العطر، يا بيلاطس، هو عطر البستان نفخته الريح في داخله".

[٣٣] أجاب بيلاطس: "إحترسوا من أنّكم بمفردكم تعدّون لأنفسكم طريق الخراب الذي عليه سَتَتِيهُونَ إلى الأبد دون أيّ مغفرة".

[٣٤] فأجابوه: "ليس من العدل، ولا يحلّ لك عبور هذا القبر! أنت حاكم، والمدينة بحاجة إليك، ولكنّ سلطانك لا يمتدّ إلى هذا القبر. رؤساء الكهنة وقادة الشعب يفهمون هذا أكثر منك.

[٣٥] لا يحلّ لك ولا يناسبك أن تتجادل مع العبرانيّين من أجل رجل ميت".

[٣٦] عند ذلك قال بيلاطس للقائد: "أنت ترى، أيّها الأخ، كم هي كبيرة كراهية العبرانيّين ليسوع! لقد تبعنا إرادتهم بصلبنا إيّاه، ولكن انظر كيف أنّ العالم بأسره يخرب بسبب شرّهم ومعصيتهم. هم يودّون أن يُودُوا بنا إلى الخراب من خلال حجر العثار نفسه، قائلاً مثلهم: "هو لم يقم من بين الأموات"، متسبِّبًا هكذا، وعمّا قريب، بغضبه، فنسير بعد ذلك كلُّنا سويًّا إلى الخراب".

[٨: ١] **معجزات عند القبر.** بينما كان بيلاطس يتكلّم هكذا مع القائد، كان يمسك بالأكفان في يده ويقبّلها قائلاً:

[٢] "أنا مقتنع بأنّ الجسد الذي كان ملفوفًا على يدكم قد قام من بين الأموات".

[٣] انضمّ القائد أيضًا إلى إيمان بيلاطس نفسه؛

(١١) القائد في مت ٢٧: ٥٤ (مر ١٥: ٣٩)، الذي يلعب دورًا رئيسيًّا في السرد، لا يحمل هنا اسمًا عَلَمًا.

أخذ الأكفان وراح يقبّلها. وفي اللحظة التي فيها لمسها وجهُه، شُفِيَت عينه، ورأى النورَ البَهِجَ كما كان من قبل. لقد حدث كما ولو أنّ يسوع وضع عليه يدَه، مثلما كان قد حصل للرجل المولود أعمى.

[٤] آه ما أروع هذا المشهد لجميع الناس الذين كانوا قد وافوا إلى القبر من المدن جميعها! كانوا قد قَدِموا إلى أورشليم من أجل عيد الفصح، لذلك رأوا (يسوع) يوم صلبه على خشبة الصليب؛ وعندما علموا أنّ بيلاطس قد ذهب إلى القبر ليرى يسوع القائم من الموت، لحقوا به، وهم يفكّرون: سيقوم وسيظهر علنًا كما لعازر.

[٥] ولهذا توافد إلى قبر يسوع جمعٌ غفير: شهد معجزات عظيمة، ورأى القائد الذي كانت عينه قد شُفِيت، فدُهِشوا.

[٦] عندئذ قال بيلاطس للقائد: "لقد شهدتَ معجزات يسوع عند قبره، علاوةً على المعجزات التي حصلت عندما مات على شجرة الصليب".

[٧] وبفرح عظيم مزّق القائد ملابسه ليُظهِر للجميع النعمة العظيمة التي وُهِبَت له.

[٨] وقال: "كما ترون، لقد تجلّت قوّة يسوع المسيح تحديدًا لأنّه هو الله حقًّا". إنّه ابن الله! أنا كنت قد آمنتُ، ولكنّ إيماني بقيامته من بين الأموات قد كبُرَ.

[٩] والآن، لن أخدم أبدًا ملكًا أرضيًّا بعد الآن، بل إلهي يسوع المسيح فقط". "وإذ رمى سيفه وبزّته، قبّل القماش الذي كان يمسكه بيده ملفوفًا، مستديرًا إلى هنا وهناك.

[١٠] وإذ أُصيب بيلاطس بالدهش، راح يسبّح الله. لكنّ العبرانيّين قالوا للقائد: "أنت أجنبيّ وليست لك أيّ فكرة عن الأعمال التي أنجزها يسوع بمساعدة بعلزبوب، سواء أثناء حياته أو عند مماته".

[١١] آخَرون قالوا: "عندما يموت مشعوذٌ ما، تعمل الأرواح الشرّيرة معجزات جديدة في مثواه لجرّ الكثيرين إلى الخطأ. هذه الأعمال هي أعمال سحرة ومشعوذين".

[١٢] ولكنّ بيلاطس ردّ عليهم قائلاً: "لم أسمع قطّ أن سحرة ومشعوذين يعملون مثل هذه المعجزات. أنتم في كلّ الأحوال مخدوعون تجاه حياة ربّنا، ولكنّ غضبه وعقابه سيلحقان بكم".

[١٣] هم أنفسهم، في الواقع، كانوا قد وهبوا أرواحهم إلى الإدانة، قائلين: "دمه وموته علينا إلى الأبد".

[١٤] قال بيلاطس للقائد: "ما وجدتَه، أيّها الأخ، هو الحياة الحقيقيّة، لا تتخلَّ عنه بخفّة بسبب خداع اليهود وكراهيتهم".

– الجزء الثاني: ٨: ١٥ – ٩: ٨

الجثّة التي في البئر ويسوع. قيامة ميت

[١٥]. توجّه بيلاطس إلى العبرانيّين، وقال: "أين هو الميت الذي، بحسب قولكم، هو يسوع؟".

[١٦] سبق العبرانيّون بيلاطسَ والقائدَ إلى بئر البستان، التي كانت عميقة جدًّا، وأنا، جمليئيل، تبعتهم مع الناس.

[١٧] وإذ نظرت إلى قاع البئر، رأيتُ جسدًا ملفوفًا بكفن،

[١٨] فصاح العبرانيّون: "أترى، يا بيلاطس، مشعوذَ الناصرة الذي تحزن عليه والذي تؤكّد على أنه قام؟ ها هو في البئر".

[١٩] أمر بيلاطس بإخراجه. ودعا يوسف ونيقوديموس، وسأل: "هل لفائف الكتّان هذه هي التي بها لففتما الميت؟ هل هي هذه؟".

[٢٠] فأجابَا: "إن لفائف الكتّان هذه التي بين يديك هي تلك التي لربّنا يسوع، في حين أنّ الجسم هو جسم اللصّ الذي صُلب مع يسوع".

[٢١] وتجمّع جمهور العبرانيّين ضدّ يوسف ونيقوديموس، عندما قالاَ الحقيقة، واشتبك بيلاطس وجنوده معهم.

[٢٢] فلمّا رأى بيلاطس كيف كانوا يصيحون ويصخبون، أومأ بيده كي يتوقّفوا عن ذلك؛

[٢٣] في الواقع، هو كان يعتمد على كلام قاله له يسوع، أي أنّ الموتى سيُبعَثون من القبر.

[٢٤] لذلك دعا قادة العبرانيّين وقال لهم: "نحن لا نعتقد إطلاقًا أنّ هذا هو الناصريّ". أجابوا: "نحن نؤمن بذلك".

[٢٥] فأجاب: "لندَعْ الجسمَ في قبره كما يُعمَلُ لجميع الموتى".

اللصّ في قبر يسوع

[٩: ١] ثمّ دعا يوسفَ ونيقوديموسَ وقال لهما: "لُفّاهُ بلفائف الكتّان هذه كما من قبل".

[٢] كان العبرانيّون يصخبون، قائلين: "نحن لا نثق لا بيوسف ولا بنيقوديموس، لأنّهما انضمّا إلى يسوع". أجاب بيلاطس: "فَلأُعتبَرَ أنا جديرًا بذلك!".

[٣] عندها أخذوا لفائف كتّان يسوع ولفّوا بها الميت. أنشد بيلاطس وجنوده النشيد الجنائزيّ، ووضعوه في قبر يسوع؛

[٤] ثمّ أعطى الأمر بوضع الحجر عند مدخل القبر كما كان قد صُنعَ ليسوع.

[٥] وإذ توجّه صوب مدخل القبر، صلّى بيلاطس ويداه مبسوطتان: "أيّها الربّ يسوع، القيامة والحياة وموزّع الحياة على جميع الموتى، أؤمن أنّك قمتَ من الموت وأنّك ظهرتَ لي. لا تَدُنِّي، يا ربّ، لأنّي أنا فعلتُ ذلك خوفًا من العبرانيّين. لن أنكر أبدًا قيامتك.

[٦] أنا بالمقابل أؤمن بقيامتك حسب كلمتك وبالمعجزات التي عملتَها في حياتك مقيمًا العديد من الموتى.

[٧] والآن يا ربّ لا تغضب منّي لأنّني وضعتُ جسدًا آخر في المكان حيث كان قد دُفن جسدُك.

[٨] لقد تصرّفتُ هكذا لكي أُذِلّ وأُخجِلَ أولئك المخادعين الذين لا يؤمنون بقيامتك: لهم اللوم والعار إلى الأبد؛ لك، مقابل ذلك، بفم عبدك بيلاطس، الإكرام والمجد والقدرة في الأبديّة وإلى الدهر. آمين".

خاتمة

لا تشكّل هذه المحاولةُ دراسةً شاملةً أو كافية، بل تبقى جزئيّةً وغير مكتملة، لذا سنعمل على إتمامها مستقبَلاً، بدءًا بتحقيق نقْلِ نصّ إنجيل جمليئيل الذي نحن بصدده نقلاً كاملاً، لنقوم بعد ذلك بدراسة معمّقة وموسّعة على قدر ما ينبغي.

مراجع

ERBETTA Mario, “Il vangelo di Gamaliele”, in *Gli Apocrifi del Nuovo Testament*, I/2, Marietti 1981, ristampa 1992, p. 345-366.

GUILLOMONT A., Compte-rendu sur « Marcus A. van den OUDENRIJN, *Gamaliel. Athiopische Texte sur Pilatusliteratur* », *Revue de l'histoire des religions*, 164/2 (1963) 242-244.

HEARD Gerald, *The Gospel According to Gamaliel*, The Gerald Heard Reprint Series 2009.

SCHNEEMELCHER Wilhelm (Editor), *New Testament Apocrypha*, vol. 1, *Gospels and Related Writings*, Revised Edition, p. 558-560.

van den OUDENRIJN Marcus-Antonius, *New Testament Apocrypha*, vol. 1, p. 558-559.

van den OUDENRIJN Marcus-Antonius, *Gamaliel: Äthiopische Texte zur Pilatusliteratur*, *Spicilegium Friburgense* 4, Freiburg (1959).

http://www.earlychristianwritings.com/gospelgamaliel.html

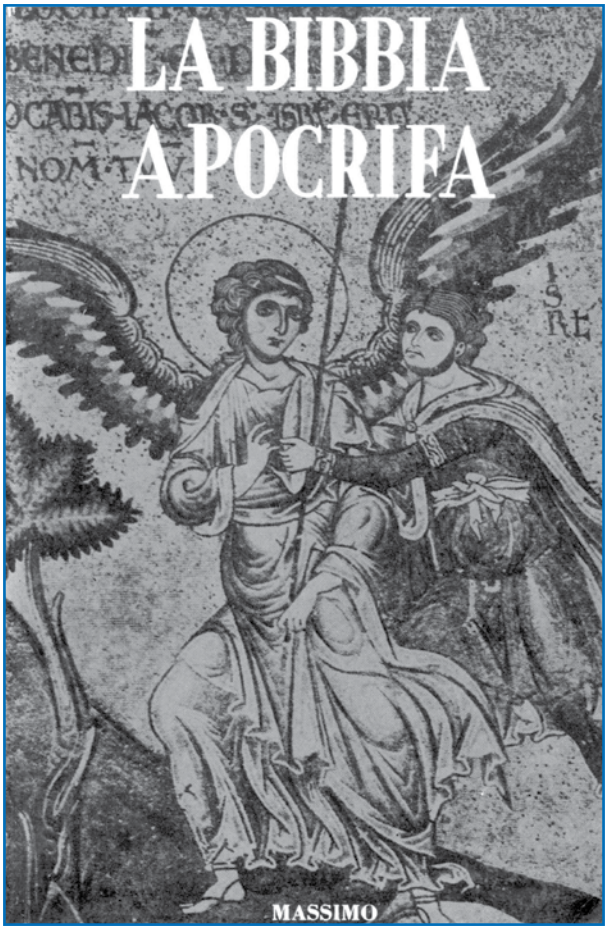

ترتيب زمنيّ للأناجيل القانونيّة والغير قانونيّة

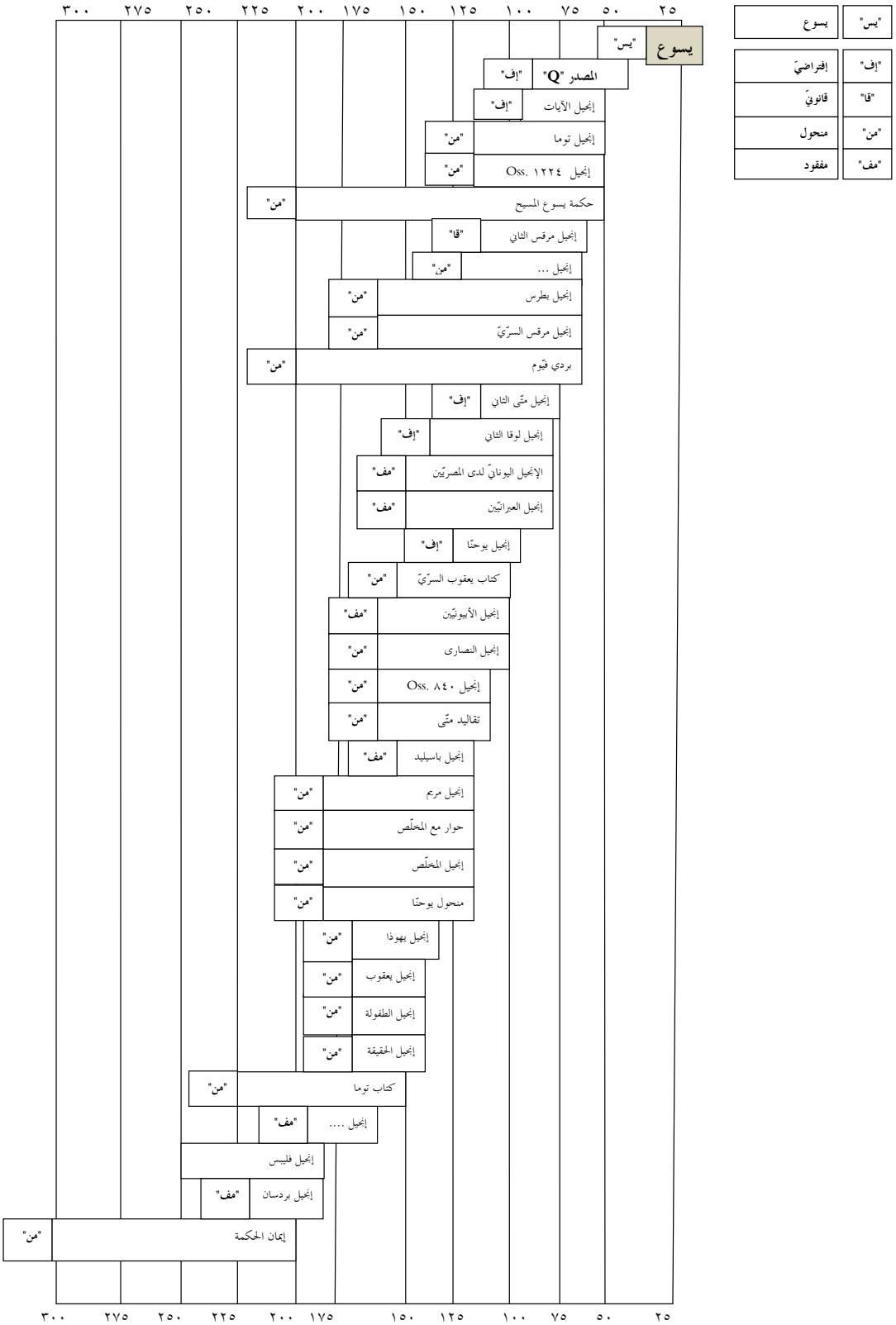

الأناجيل المنحولة والإيقونوغرافيا
حوار بين النصّ والصورة
تباين وتماهي

د. بول زغيب
عميد كلّيّة الفنون الجميلة
جامعة الروح القدس – كسليك

تولَد الأيقونة من حقيقيّة الصورة لتأخذ مركزًا فريدًا في مَسار الحركة الإنسانيّة من خلال النصوص وذلك بفضل تماسك مضمونها اللاهوتيّ الذي نشأت منه والمتّصل فعليًّا بالتجسُّد المرئيّ والتشابه الروحيّ مع وجه المسيح الإنسان. بوساطة هذين المبدأين الجوهريّين، لم تعد الصورة تجسيدًا للمسيح فقط، بل كلّ ما يشرح رموز التجسُّد في الأفكار والأشكال والأشخاص والمواضيع، وتقبُّل الإنسان لهذا الحدث والتفاعل معه. أليست "الأيقونة هي سرّ تأنّس الله وتألّه الإنسان"؟[1]

المبدأ الأوَّل، أي التجسُّد المرئيّ، يُعطي مغزى للفكرة اليونانيّة لصورة (eikôn)، لأنَّ فعل تكريم الصورة يمثِّل جوهر الإيمان الخلاصيّ الكائن في تجسُّد المسيح بيننا. وتكريم الأيقونة إعلانٌ بحقيقة التجسُّد وتأنسن المسيح، يُكسب الإنسان حسب أقليمنص الإسكندريّ († ٢٢٠) صورةَ الله طالما الإنسانُ متّحدٌ ومتعاون مع الله.

لم تسمح الديانةُ اليهوديّة بالصورة المقدَّسة. ونقل الربُّ هذ الحظر إلى موسى النبيّ عندما طلب منه هذا الأخير أن يريه مجدَه وكان يقصد وجهه، فأجابه الرّب: "سأعرضُ كلَّ جلالي أمامك وأُنادي باسمي أنا الرَّب على سمعك، وأتحنَّن على من أتحنّن، وأرحم مَن أرحم."] ...["أمّا وجهي فلا تقدر أن تراه، لأنَّ الذي يراني لن يعيش" (خر ٣٣: ١٨–٢٣).

ما قاله الرَّب لموسى لا يعتبر حرم أكثر من أنَّه استحالة رؤية الرَّب وجهًا لوجه من دون أن يسبِّب هذا التجسُّد موتَ الشخصِ الذي شاهده. وقال الربُّ: "أنا إله آبائك. إله إبراهيم واسحق ويعقوب]...[فستر موسى وجهه خوفًا من أن ينظر إلى الله" (خر ٦: ٣).

المشهد يختلف في النَّظرة إلى الصورة المقدّسَة في المسيحيّة حيث تتمثَّل فيها المبادىء التي كان الإنسانُ يمارسُها. الصورةُ – الأيقونة كناية عن إعادة رسم اللوحة الدراميّة (Re-présentation) التي شاهدها الإنسان على أرض الواقع خلال فترة تجسُّد سيّدنا يسوع المسيح، أي أنَّ هذه المشهديّة لا يمكن أن تتمحور إلاّ حول التجلّي الإلهيّ (Théophanique) ، إنّها "ملخَّص سرّ التدبير الإلهيّ الناجز في تنازل الابن الذي كشف لنا الآب ووهبنا الروح من لدن الآب، معتقًا إيّانا من

(١) القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، **الدفاع عن الأيقونات المقدّسة**، كوسبا، ١٩٩٧، ص ٥.

عبوديّة الموت ومجتذبًا إيّانا بشبكة الصليب، الذي سُرَّ هو "الكلمة" أن يُعلَّق عليه بالتجسّد لأجل استنارتنا بمعرفته واتّحادنا بوحدته"[٢]. هذا ما أعلنه القدّيس يوحنّا الدمشقيّ عندما أكّد شرعيّة الأيقونات قائلاً: "لو كنّا صنَعنا صورة الله غير المنظور، لكنّا ارتكبنا خطأً بدون أدنى شكّ، إذ من المحال أن يُصوّر من لا جسم له ولا شكل، ومن لا يُرى ولا يُحدّ. وأيضًا، لو كنّا صنعنا صُور أناسٍ ظانّين أنّهم آلهة وعبدناهم على هذا النحو، لكنّا كفّارًا بدون أدنى شكّ. ولكنّنا لا نصنع شيئًا من ذلك؛ فالإله الذي تجسّد وتراءى على الأرض في جسده وعاش بين النّاس بصلاحِه غير الموصوف، واتّخذ طبيعة الجسد وكثافته وشكله ولونه، هو الذي نصنع له صورة"[٣].

كتبَ مار يوحنّا في نهاية مقدّمة بشارته: "ما من أحد رأى الله. الإله الأوحد [المسيح] الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه" (يو ١: ١٨). من هنا فإنّ الله هو أساسًا ودائمًا في سرّ لا يمكن اختراقه على مرأى من الإنسان؛ فمن موسى النبيّ و"الخروج"، إلى يوحنّا الرسول، تؤكّد الكتابات على عدم إمكانيّة الوصول إلى الله من خلال رؤية الإنسان الذاتيّة. ولكن من الإمكان رؤية الله عن طريق صورته المثاليّة أيّ صورة الابن المرئيّة لله غير المرئيّ، وهذه الأشكال المرئيّة هي نماذج دنيويّة تعطي مفهومًا أبسط للمفاهيم غير الملموسة.

إذًا في البدء كانت الكلمة، فتجسّدت كلمة الله وحلّ بيننا ورأينا مجده (رج يو ١: ١٤)، أي أنّ الآب نفسه ظهر للبشر بشخص الابن (رج يو ٩: ١٤) وأقام بين البشر: فرفع يسوع صوته، قال: "من آمن بي لا يؤمن بي أنا، بل يؤمن بالذي أرسلني، ومن رآني رأى الذي أرسلني" (يو ١٢: ٤٤–٤٥). ويكمل يوحنّا مقدّمته في العشاء السرّيّ، فقال توما ليسوع: "يا ربّ نحن لا نعرف إلى أين أنت ذاهب، فكيف نعرف الطريق؟". أجابه يسوع: "أنا هو الطريق والحقّ والحياة، لا يجيء أحدٌ إلى الآب إلاّ بي. لو كنتم عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا؟ ومن الآن أنتم تعرفونه ورأيتموه". فقال له فيليبُّس: "يا ربّ أرِنا الآب وكفانا". فأجابه يسوع: "أنا معكم كلّ هذا الوقت، وما عرفتني بعد يا فيليبُّس؟ من رآني رأى الآب، فكيف تقول أرِنا الآب؟" (يو ١٤: ٦–٩). ويكمل مار بولس برسالته إلى كولوسي: "هو صورةُ الله الذي لا يُرى وبكر الخلائق كلّها" (كو ١: ١٥). ويضيف مار بولس في رسالته إلى العبرانيين: "ولكنّه في هذه الأيام كلّمنا بابنه الذي جعله وارثًا لكلِّ شيءٍ وبه خلق العالم. هُوَ بَهاءُ مجدِ الله وصُورَةُ جوهره، يحفظُ الكونَ بقوّةِ كلِمَتِه" (عب ١: ٢–٣).

ضمن هذا الإطار، يستطيع الإنسان أن يصوّر الله ليس فقط على صورته ومثاله في شخص سيّدنا يسوع المسيح، بل يستطيع أن يصوّر أيضًا كلّ ما هو محيط بالعهد والتجسّد اللذَين يشكّلان وحدة متماسكة. "في الحقيقة القديمة لم يكن تصوير الله ممكنًا لأنّه لم يكن اتّخذ جسدًا، أمّا الآن، فبعدما ظهر الله بالجسد وعايش البشر، فإنّي أصوّر الله الذي يمكنني أن أراه، والذي أصبح مادّة من أجلي، ولن أنقطع عن احترام المادّة التي اكتمل بها خلاصي"[٤]، كما يقول القدّيس يوحنا الدمشقيّ.

ومن هنا، فإنّ احترام المادّة–الجسد من قبل الإنسان يخضع لمعايير إعادة تشكيل المادّة ضمن قوانين تحدّد الشكل الذي هو واسطة وأداة نقل لرؤية روحيّة نعثرُ على تعابيرها في لغة تشكيليّة خاصّة. بناءً على ذلك، فإنّ الفنّ المقدّس كان في بدايته قائمًا على علم الأشكال

(٢) القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، **الدفاع عن الأيقونات المقدّسة**، كوسبا، ١٩٩٧، ص ٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩.

(٤) القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، **الدفاع عن الأيقونات المقدّسة**، كوسبا، ١٩٩٧، ص ٣١.

وبكلمات أخرى على رمزيّة متأصّلة في الأشكال[٥]. فينطلق الفنّ من الدلالة إلى الرمز. وفي هذا المجال فإنّ أقدم ما وصل من النصوص التي تتناول موضوع الرموز المسيحيّة ووضعها آباءُ الكنيسة نصٌّ من أقليمنص الإسكندريّ يدعو فيه أبناء كنيسته إلى اختيار رموز لأختامهم تتوافق مع إيمانهم، كاليمامة والسمكة والمركب والمرساة.

وبوساطة الرمز تتحوّل صورة الجسد الترابيّة إلى الصورة السماويّة، أي من الفنّ الدينيّ إلى الفنّ المقدّس، ولذلك لا يصحُّ دمجُ هذا الأخير ضمن "حركة الفنّ المقدّس" لمجرَّد أنَّه يستقي مواضيعه من حقيقة روحيّة، إذ يجب، في هذه الحالة، على اللغة الشكليّة أيضًا أن تؤكِّدَ حقيقةً مماثلة. هذا المفهوم دفعَ المسيحيّة في القرن السابع، أي في مجمع القسطنطينيّة الثالث (٦٨٠–٦٨١) ، إلى إلغاء الرموز وتصوير الأشياء على حقيقتها، وتصوير دخول المسيح العالم حسّيًّا لتتأكّد حقيقة تجسُّده.

السؤال المطروح هو: ما هي القواعد المتّبعة في مجال تكوين الصورة في الفنّ المقدّس؟ خاصّةً وأنّه في بدايات الإنسانيّة كانت الكتابة هي الوسيلة المتاحة للتواصل بين الأفراد وتوصيف المبدأ الأوّل. وأنّ عمليّة ابتكار الصورة المقدّسة تشترط أن تكون متطابقة مع "الحقائق" (Révélation) الموحى إليها في الكتب القانونيّة وغير القانونيّة (المنحولة). على هذا النَّمَط يجب أن يكون البحث عن قواعد الفنّ المقدّس في الكتابات المقدّسة كيْ تطرح عمليّة التناغم الايقونوغرافيّ (Cohérence iconique). وهذا ما حدّده القدّيس يوحنّا الدمشقيّ: " عندما ترى الذي لا جَسدَ، ولا حدود ولا كَمّ ولا سِنّ ولا قياسَ ولا مقدار له بسبب سُمُوِّ طبيعته الخاصّة والذي له هيئة إلهيّة، آخذًا هيئة عبدٍ ومُخضعًا جَسَده للكَمِّ والسِنِّ والسَجيّة، عندئذٍ تحفر [هيئته] على لوحتك الخشبيّة وتقدِّمها للتأمّل لأنّه ارتضى بأن يُرى". ويحدّد أيضًا مواضيع الأيقونات قائلاً: "أحفر نزوله غير الموصوف، وميلاده من بتولٍ ومعموديّته في الأردن، وتجلّيه على جبل ثابور، وآلامه التي زوَّدَتْنا بعدم التألّم وعجائبه، ورموز طبيعته الإلهيّة ومقدرته التي تحقّقت بواسطة مقدرته الجسديّة. في المقدرة الإلهيّة والصليب الخلاصيّ والقبر والقيامة والصعود إلى السّماوات. أحفر كلّ [هذه] بالكلمات وبالألوان، في الكتب وعلى الألواح"[٦].

المبدأ الثاني، التشابه الروحيّ مع صورة المسيح الإنسان. فهو يرتكز على فعل الروح القدس لخلق الإنسان على صورة الله. ومن هنا، على الإنسان أن يقوم بما يلزم لاستكمال مشروع الله بالتشابه الروحيّ. وهذه الإمكانيّة موجودة عند الإنسان، كون الإنسان خلق على صورة الله ومثاله. والصورة هنا هي الوسيلة الأساسيّة المعطاة للإنسان لإكمال هذا المشروع[٧] الذي ينهي الصراع القائم بين مناصري الأيقونات ومناهضيها على أثر التئام المجمع المسكونيّ السابع في نيقية سنة ٧٨٧، الذي عزّز شرعيّة الأيقونات علنًا"[٨]. وهذا ما أكّده نيسيفور:

« L'icône est une ressemblance du prototype ou une imitation du prototype et son reflet, mais par sa nature elle se distingue

(5) Philippe Sers, *Icônes et Saintes Images*. La représentation de la transcendance, Paris, Les Belles Lettres, p. 42.

(٦) القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، **الدفاع عن الأيقونات المقدّسة**، كوسبا، ١٩٩٧، ص ٢٦.

(7) Diadoque de Photicée, Œuvres spirituelles, chapitre LXXXIX, Paris, 1955, p. 149.

(٨) القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، **الدفاع عن الأيقونات المقدّسة**، كوسبا ١٩٩٧، ص ٧٠. بالحقيقة أنّ المجمع المسكونيّ الذي انعقد في نيقية سنة ٧٨٧ وضع حدًّا للمرحلة الأولى من الحرب بين مناصري الأيقونات ومناهضيها، وذلك لأنّ مرحلة ثانية ستبدأ من جديد في القرن اللاحق.

de son prototype: l'icône est semblable à son prototype grâce à la perfection de l'art imitateur, mais elle est distincte du prototype par sa nature. Et si elle ne se distinguait en rien du prototype, ce ne serait pas une icône, mais le prototype lui-même »[9].

وكما يشهدُ مار بولس: "هو صورةُ الله الذي لا يُرى وبكر الخلائق كلّها" (كو ١: ١٥).

الصورة هي إذًا تشابه يصف نموذجها مع كونه مختلفًا عن هذا الأخير في شيء ما؛ فهي لا تشبه تمامًا مثالها الأصليّ في الواقع[١٠]. إنّ صدقيّة الصورة هي بالأساس مرتبطة عضويًّا مع النصوص المقدّسة والنصوص التقليديّة. من هنا فإنّ الأدب المنحول يشكل مساحة تحوّل لغويّة، فكريّة وصُوَريّة. وهذه المساحة تقوم على البحث العميق لابتكار أشكال تعبيريّة جديدة متنوّعة وعلى إقامة حوار بين هذه الأشكال. عندئذٍ تشكّل النصوص المنحولة مع الصورة (eikôn) حالتين متباينتين ومتماهيتين في الوقت نفسه مع فكرة تجسّد المسيح.

أ– متباينتان بالفكرة الأساسيّة، أي أنّ صفة منحول كانت عند أصحاب المذاهب الباطنيّة تدلّ على النصوص التي يجب إخفاؤها عن الأعضاء غير الكاملين. كلمة "منحول" في اللغة اليونانيّة مشتقّة من فعل "حَجَبَ" أو "كَتَمَ" أو "أخفى" أو "ستر". بينما الصورة وما تحتوي من رموز تحرّر الفكر وتَحَرّضُ على الاكتشاف. وإن خفضت من نهج الروح وجعلت القوى المتاحة من اللجوء إلى مكان آخر أي إلى الصورة.

ب– متماهيتان، لأنّ الأدب المنحول يُسَلِّطُ الضوء على اقوال وأفعال يسوع المسيح وعلى العديد من الشخصيّات، ويقدِّم تفسيرات قويّة. تخصُّ هذه التفسيرات الجماعة المسيحيّة المتأثّرة بالعالم الوثنيّ والغنّوصيّة. ولأنّ هيكليّة الأدب المنحول ترتكز على فصول دراماتيكيّة تنتج الحوار كاشف الأسرار، الذي بدوره يكشف الأسرار: أسرار وهبها الربّ للرسول ليقول لنا إنّ المسيح تجسّد من أجل مساعدة الإنسان.

تجسّدُه منحَ الصورة هويّتها، لتصبح القيمة الإبداعيّة لفنّ الأيقونة، ولتكون واضحة من خلال الألوان والأشكال والنسب ولا تشبه الواقع. تخلى فنّ الأيقونة عن نقل تقنيّات اللوحة الثلاثيّة الأبعاد لتسمح للرموز (عيون كبيرة وآذان صغيرة ورقيقة، جبهة عريضة للإشارة إلى النعمة مع ضوء داخليّ يرمز إلى النور الإلهيّ الذي يضيء الأحرف دون خلق الظلال) بالانسياب إلى نفس المصلّي الغارق بتراتيل الصلاة، فينعم المصلّي بالسّلام الداخليّ.

كان تأثير الأناجيل المنحولة على الفنّ المشرقيّ المقدّس، لا يقلّ عنه في الغرب. وتكشفُ عن هذا التأثير مواضيعُ كان من المفترض أن يتمّ حذفها أو تنقيتها قبل إعادة دمجها مع المجموعة الأدبيّة المحفّزة على انطلاقة الفنّ المقدّس. مثال على ذلك، ولادةُ السيّد المسيح التي لم تحصل في إسطبل كما تُظهر الرسوم في الفنّ الغربيّ، إنّما حصلت في مغارة مغطّاة بسحابة مضيئة من داخلها؛ فإنجيل يعقوب التمهيديّ المنحول، الذي وصف ثالوث المغاور (مغارة آدم وحوّاء في جبل الجنّة، مغارة ولادة المسيح، ومغارة دفن المسيح) وهي المغاور الثلاث التي دفن فيها أيضًا جسد مريم العذراء[١١]، وأصبح مرجعًا في الفنّ البيزنطيّ.

(9) Nicéphore, voir digne, Patrologie grecque, 100, 277A.

(١٠) القدّيس يوحنّا الدمشقيّ، **الدفاع عن الأيقونات المقدّسة**، كوسبا ١٩٩٧، ص ٢٧.

(11) VEN ESBROECK. 1995. *Aux origines de la Divinité de la Vierge, Études Historiques sur les Traditions Orientales*, Great Britain, p. 280.

المثل الأوّل: "رقاد مريم العذراء"

تُعتبرُ أيقونة "رقاد مريم العذراء" ترجمةً تشكيليّةً للنصّ المنحول الذي يحمل العنوان إيّاه والموجود في إنجيل يوحنّا اللاهوتيّ. يعود هذا النصّ إلى البيئة اليهوديّة المسيحيّة في مدينة أورشليم، والمؤرّخ في نهاية القرن الثاني مسيحيّة، وترجم إلى لغات عدّة.

في هذه الأيقونة نجد مريم العذراء ممدّدة على الفراش، في الوسط، وتحيط بها هالة السيّد المسيح مع الملائكة وهو يتلقّى روحها بينما تظهر مريم بشكل طفل صغير في المهد. يحيط الرسل بأمّ الله: من اليسار بطرس يُبخّر الجسد، وإلى اليمين الرسول بولس ينحني بإجلال واحترام، وتشكّل الملائكة خورسًا حول الرسل والمسيح، وفي أسفل الأيقونة ملاك يقطع يدي المنكر جيفونياس وهو يلمس بقلّة احترام منصّة فراش مريم العذراء. ونقرأ بالنصّ:

« […] Et voici, le Christ se présenta, assis sur le trône des chérubins. Et, pendant que nous étions tous en prière, apparurent une multitude innombrable d'anges et le Seigneur, arrivé au-dessus des chérubins avec une grande puissance. Et voici qu'un éclat de lumière se porta sur la Sainte Vierge par la venue de son Fils unique. Toutes les puissances célestes se prosternèrent et l'adorèrent[12] [...] »

« […] Le Seigneur étendant ses mains pures, reçut son âme sainte et irréprochable.

Et, pendant que sortait cette âme irréprochable, le lieu fut rempli d'un parfum et d'une lumière indicible[13] […] »

وعن حادثة اعتداء جوفينياس:

« […] Et voici, alors qu'ils portaient, qu'un Hébreu du nom de Jéphonias, vigoureux de corps, s'élança et se saisit de la bière portée par les Apôtres. Et voici qu'un ange du Seigneur, par une force invisible, avec une épée de feu, lui trancha les deux mains, les laissant pendre en l'air auprès de la bière[14] [...] »

أهمّيّة هذا النصّ المنحول أنّه يوثّق بشكل أدبيّ اللحظات الأخيرة من حياة مريم العذراء معتمدًا على مجموعة من الرموز (عسفة النخل، المصباح، العطر والبخور، والغيوم والسّحابة) ، رموز تستدعي التفكيك والشرح لفهم جوهر النصّ المنحول ثمّ الانتقال إلى قراءة الأيقونة والرسوم.

(12) *Dorm Marie* 38.

(13) *Dorm Marie* 44-45.

(14) *Dorm Marie* 46.

المثل الثاني: مخطوط عظات الراهب يعقوب المنتسب إلى دير كوكينوبافوس في بيتيني

يتضمّن هذا المخطوط العظات الستّة للراهب يعقوب [١٥] (Jacques de Kokkinobaphos de Bythanie) وكلّها تتمحور حول حياة السيّدة العذراء. ويرتكز الراهب يعقوب على نصّ إنجيل يعقوب التمهيديّ، وهو نصّ منحول اسمه الحقيقيّ "ولادة مريم" وأُسمِيَ "التمهيديّ" لأنّه يخبر عن أحداث لم يذكرها حتّى لوقا[١٦]. لتصميم دورة كاملة من الصور مكّن هذا الإنجيل الدارسين من تحرّي المراحل السرديّة لطفولة العذراء مريم والسيّد المسيح غير المدوّنة في الأناجيل الكنسيّة القانونيّة. كما ساهم في نشر البعد الأيقونيّ حول حياة أمّ الله من خلال نقل التقاليد بلُغة حسّاسة من الصور الرمزيّة.

ونجد في "مخطوط العظات": البشارة (بشارة مريم العذراء) على مرحلتين.

١– بالقرب من البئر (f 117 v) سبقت طبيعيًّا بإرسال الملاك جبرائيل من قبل الأقانيم الثلاثة (Bnf, ms gr. 1208, f 153v). وهذا الموضوع في الأصل، غير مطروح في الأناجيل المنحولة ولكن في إنجيل لوقا: "وحين كانت أليصابات في شهرها السادس، أرسل الله الملاك جبرائيل إلى بلدة في الجليل إسمها الناصرة، إلى عذراء اسمها مريم، كانت مخطوبة لرجل من بيت داوود إسمه يوسف" (لو ١: ٢٦–٢٧).

يحيط بها حرس شرف من الملائكة (Bnf, ms gr. 1208, f 153v) حيث ينعقد المجلس الأعلى وعلى جانبيها شخصان يتوجّه نظرهما نحو وسط حيث يمكننا أن نميّز الأب الذي يمدّ يده نحو الملاك جبرائيل بدون أن ينظر إليه. والملاك جبرائيل واقف يحدّق بالابن الذي هو على يمين الآب، فيمدّ يديه المفتوحتين نحو العرش ليحصل على أوامر مهمّته، ومن ثمّ ينطلق نحو

(١٥) مخطوط على ورق بقياس ٢٣ سنتم ارتفاع بطول ٥، ١٦ سنتم، بثلاث أجزاء، أنتج في مدينة القسطنطينيّة ما بين ١١٠٠–١١٥٠ م. يوجد نسختان منه، الأولى في مدينة باريس، محفوظة في المكتبة الوطنيّة الباريسيّة تحت رقم 1208gr، والثانية محفوظة في مكتبة الفاتيكان تحت رقم (VAT. Gr.1162). وهناك أوجه شبه فنّيّة في المنمنمات بين النسختين.

Voir Jannic Durand, p.125, L'art byzantin.

(١٦) **الأناجيل المنحولة**، دير سيدة النصر، ٢٠٠٤، ص ٣١.

الأرض، أي نحو مريم العذراء، غير المرئيّة أساسًا في هذه الصورة.

وفي Folio 130 يظهر الملاك جبرائيل صاعدًا نحو العرش الإلهيّ بعد أن أتمّ مهمّته على الأرض، ببشارة مريم العذراء. ومن هنا يمكن أن نفترض، بالطبع، أنّه ربّما لم ينتظر التأكيد من مريم العذراء، ولا حتّى عودة الملاك جبرائيل، ليكون بالقرب من مريم. لكنّ الرسّام لم يتغلّب على دوافعه بسرد القصّة حتّى النّهاية.

ونلاحظ من هنا، بأنّ العرش الإلهيّ فارغ بانتظار عودة الربّ. وتكمل القصّ بشكل استثنائيّ ومتطوّر مع الارتكاز على الإنجيل الأرمنيّ المنحول لطفولة يسوع، مع يعقوب، الابن الأصغر ليوسف، من ارتباطاته السابقة، فأوكل يوسف ابنه يعقوب لرعاية مريم العذراء. ولذلك فإنّنا نراها بحركة مكّوكيّة بين الهيكل ومريم التي قرّرت أن تكمل الحجاب قبل الذهاب لرؤية قريبتها أليصابات. وكان يعقوب في هذه المرحلة، يتسلّق الأشجار لالتقاط الفواكه خلال فترة الاستراحة (folio 147) .

وهذا ما شجّع نصوص الأناجيل المنحولة على طرح الفنّ الإيقونوغرافيّ كمصدر وحي وترجمة حثيثة لدخول السيّد المسيح إلى العالم الحسّي. ودعوة الإنسان إلى التوبة فيما تقوم بصياغة قصصها بألوان عميقة "تعبر إلى القلب" تاركةً آثارًا في، ليس فقط الفنّ المقدّس، ولكن أيضًا في ليتورجيّا الكنيسة[١٧].

يجدر الاعتراف بالتأثير القويّ للعديد من الكنائس مثل الكنيسة الأرمنيّة والأثيوبيّة والسريانيّة التي كانت الأوضح في تعريف الأناجيل المنحولة.

يتضمّن هذا المخطوط عظات الراهب يعقوب الست[١٨]. التي تتمحور حول حياة السيّدة العذراء. اعتمد الراهب يعقوب على نصّ إنجيل يعقوب التمهيديّ،

(١٧) نجم شهوان، **مجلّة بيبليا** ٤٨، صفحة ٦٣.

(١٨) مخطوط على ورق بقياس ٢٣ سنتم، ارتفاع بطول ٥،١٦ سنتم بثلاثة أجزاء، أنتج في مدينة القسطنطينيّة ما بين ١١٠٠ – ١١٥٠ م. ويوجد نسختان منه. الأولى في مدينة باريس ومحفوظة في المكتبة الوطنيّة الباريسيّة تحت رقم gr 1208 ؛ والثانية في مكتبة الفاتيكان تحت رقم (Vat.gr.1162) ؛ وهناك أوجه شبه فنيّة في المنمنمات بين النسختين.

Voir. Jannic Durond, p. 12, l'Art Byzantin

نصٌ منحول وعنوانه الصّحيح "ولادة مريم". عنونه "التمهيدي" لأنّه يخبر عن أحداث لم يذكرها متّى ولا لوقا"[١٩]. مكّنَ هذا الإنجيل الدارسين من تحري المراحل السَّردية لطفولة العذراء مريم والسيّد المسيح غير المدوّنة في أناجيل الكنيسة القانونيّة. كما ساهم في نشر بعد أيقونيّ مهمّ حول حياة أُمّ الله.

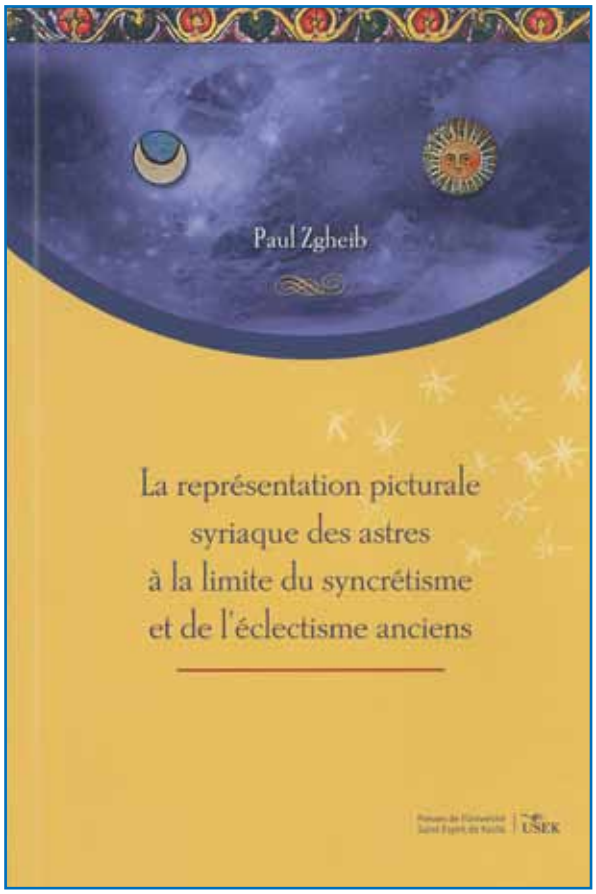

Tables des matières

Dédicace 5
Remerciements 7
Introduction 9
Abréviations 25
- Abréviations des périodiques 25
- Abréviations bibliques 26
Chapitre I : De la géographie limitrophe à la culture frontalière 29
1- Le monde syriaque et l'histoire limitrophe 30
2- La culture astrifère syriaque et la pensée frontalière 34
3- Les astres de Bardesane dans la cosmogonie syriaque 45
4- La place des astres dans la « Doctrine de l'apôtre Addaï » 52
Chapitre II : Les astres dans la peinture syriaque : une insertion d'emprunt 57
1- Les fondements de l'origine des astres dans le programme pictural syriaque 59
2- Les formulations plastiques des éléments astrifères 69
3- L'approche sémiologique 71
Conclusion 117
Catalogue iconographique 123
Bibliographie 157

(١٩) **الأناجيل المنحولة**، دير سيّدة النصر، ٢٠٠٤، ص ٣١ .

يأتي هذا الكتاب استجابة لدعوة قداسة البابا الطوباوي يوحنّا بولس الثاني، وخلَفه قداسة البابا بندكتوس السادس عشر بالاستفادة من التقنيات في إعلان البشرى والأبحاث الجديدة. فكانت العودة إلى التراث الفنّي الإيقونوغرافي المقدّس، وإحياء هذا الكنز بسبك نفْس تُزاوج الصورة بالكلمة ليولّد تعليمًا يحمل في طيّاته حكمة الآباء نعيشه في نبض الشباب.

كما يتضمّن هذا الكتاب، دراسة مجموعة أيقونات تقدّم للقارئ، وسيلة ومعطيات ومعلومات، تُساءله، تُحاوره، تُربكه، تجعله يقف أمام ذاته، يُساءلها يُحاورها ويلومها على هذه الفوضى والفراغ العبثي، وهو التائق أبدًا إلى الراحة، إلى السلام وإلى السكينة. كلّ هذه المشاعر المتصارعة تأتي من لقاء الإنسان بالمقدّس، فيختبره ويُمحّصه ويغوص فيه، ليجد نفسه مغمورًا بكنز روحيّ يُدوزن جميع أبعاد حياته.

الأخت منى حسن وازن من مواليد رشميّا (عاليه- لبنان)، سنة ١٩٥٨. دخلت جمعيّة الراهبات الباسيليات المخلصيّات لسيّدة البشارة في ٢٥ أيلول ١٩٧٠. أبرزت نذورها المؤقتة في ٥ آب ١٩٧٩، والمؤبّدة في ٨ أيلول ١٩٨٣. حائزة على إجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانيّة سنة ١٩٨٦، وإجازة في اللاهوت من جامعة القديس يوحنّا اللاتيران - روما، وعلى دكتوراه في اللاهوت الراعوي من الجامعة نفسها سنة ٢٠٠٣، تحت عنوان «التعليم المسيحي لسرّ التجسّد في كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك في لبنان». لها مقالات ومحاضرات عدّة في مجال التعليم المسيحي من خلال الأيقونة، والعمل الرسولي والراعوي.

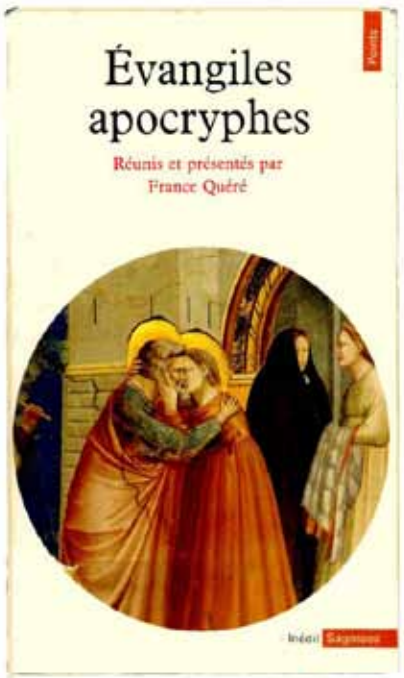

Table

INTRODUCTION 7

FRAGMENTS D'ÉVANGILES

1. Les Agrapha 35
Agrapha du Nouveau Testament en dehors des évangiles .. 36
Variantes des manuscrits évangéliques 37
Agrapha cités par les Pères 39
2. Lambeaux de papyrus 45
Les papyrus d'Oxyrhynque 45
Les papyrus Egerton 49
Fragments de diverses provenances 51
3. Fragments d'évangiles perdus 54
Évangiles selon les Hébreux 54
Évangile des Ébionites 58
Évangile des Égyptiens 61
Les traditions de Matthieu 63

ÉVANGILES DE LA NATIVITÉ ET DE L'ENFANCE

1. Le Protévangile de Jacques 67
2. Évangile du Pseudo-Thomas 86
3. Histoire de Joseph le charpentier 95

ÉVANGILES DE LA PASSION

1. L'évangile de Pierre 117
2. Les Actes de Pilate 125
Première partie 128
Deuxième partie 152

UN ÉVANGILE GNOSTIQUE

L'évangile de Thomas 163

Index 185

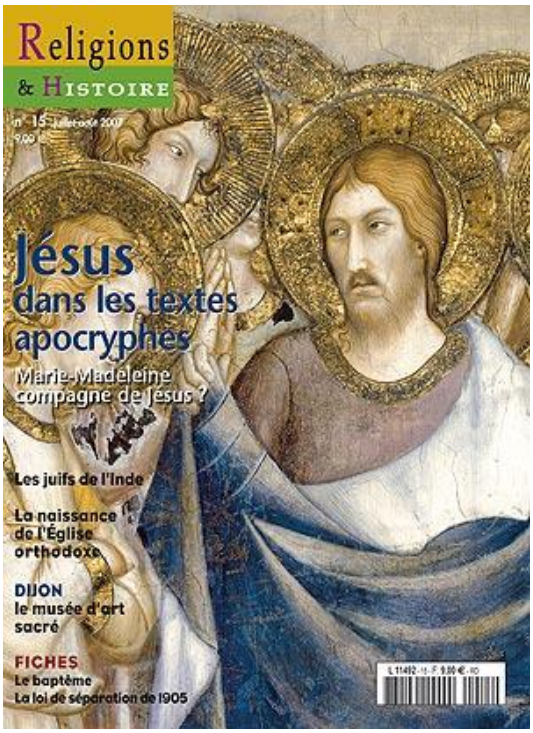

SOMMAIRE

Actualités
Reportage : un monastère cistercien devenu musée d'art sacré à Dijon
DOSSIER : JÉSUS DANS LES TEXTES APOCRYPHES
Cadre historique : la littérature apocryphe chrétienne dans l'espace, le temps et le paysage théologique
Jésus, une omniprésence implicite dans le Protévangile de Jacques
Jésus, enfant et maître dans l'Histoire de l'enfance de Jésus et la Vie de Jésus en arabe
Jésus l'indicible d'après l'Évangile selon Thomas
Jésus, le Fils de l'homme dans la Source des paroles de Jésus
Jésus, héritier et continuateur de la Loi juive dans les évangiles judéo-chrétiens
Jésus, Seigneur triomphant dans l'Évangile de Pierre
Jésus, roi du peuple dans les Actes de Pilate
Jésus, 22e prêtre du Temple de Jérusalem dans le Sacerdoce du Christ
Jésus, vrai Prophète et Fils de Dieu dans le Roman pseudo-clémentin
Jésus, figure évanescente dans l'Évangile de Marie
Jésus, Fils d'un Dieu autre que celui de la Bible dans l'Évangile de Judas
Jésus, jumeau de Thomas dans les Actes de Thomas
Jésus au miroir de l'apôtre dans les Actes de Paul
Marie-Madeleine dans les apocryphes, quelle place auprès de Jésus ?
MÉLANGES : LES JUIFS DE L'INDE : LES FILS DE MOÏSE AU PAYS DES BRAHMANES
INITIATION : LA NAISSANCE DE L'ÉGLISE ORTHODOXE

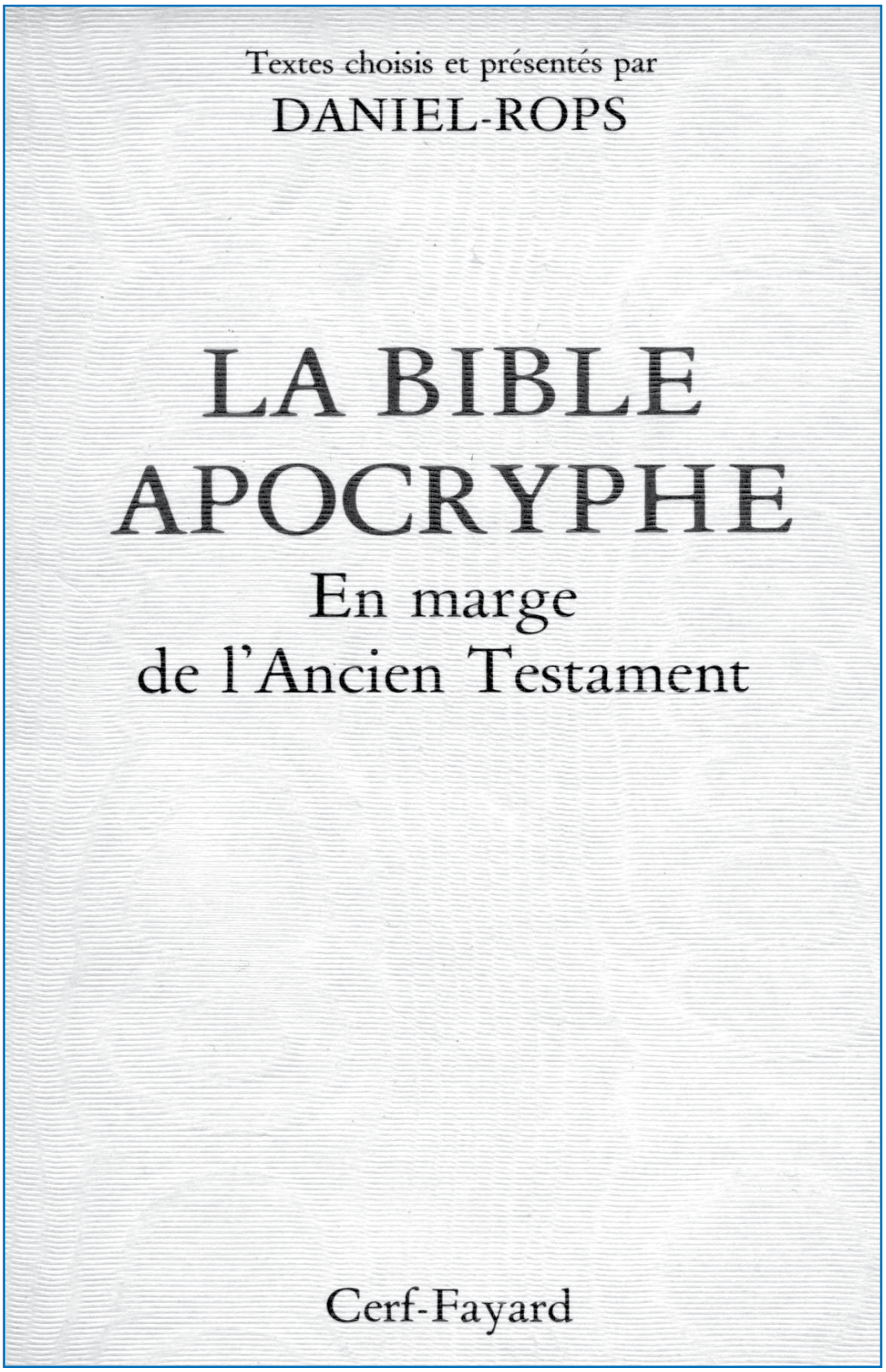
Textes choisis et présentés par
DANIEL-ROPS
LA BIBLE
APOCRYPHE
En marge
de l'Ancien Testament
Cerf-Fayard